بعض أضـواء جـــديدة
على وظيفة
ناظر البيمارستان المنصورى

د٠ ليـــلى عبد الجـواد(١)

يعتبر البيمارستان المنصـورى من أشـــهر البيمارستانات(٢) التى اقيمت فى الدولة الاسلامية ، فضلا عن أنه يعتبر ظاهرة حضارية مميزة لعصر سلاطين المماليك بوجه عام وعصر المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠م) بوجه خاص ٠

وقم أقام المنصور قلاوون هـــذا البيمارستان فى الدار القطبية(٣) بخط بين القصرين ؛ وكانت هذه الدار فى يد مؤنســـة خاتون ابنة الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، حينما أرسل اليها المنصـــور قلاوون الأمير علم الدين سـنجر الشجاعى(٤) ، ليشترى منها هذه الدار ٠ ويروى العينى أن مؤنسة خاتون لم تلتفت اليه ، وردته رداً جميلا ، فأرســـل اليها السلطان قلاوون الطواشى حسام الدين ، وعرفها ان السلطان يقصد

---

(١) أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة ٠

(٢) البيمارستان أو المارستان ويقال كذلك المرستان لفظ فارسى مركب من مقطعين (بيمار) بمعنى المريض (وستان) بمعنى محل أو مكان أو دار ، أى أن البيمارستان هو مستشفى لمعالجة جميع الأمراض ، ولكن بمرور الزمن اقتصر الاسم على المكان الذى يعد لاقامة المجانين ٠ انظر المقريزى السلوك ، جا ، ق٣ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ص ٧١٦ ، حاشية ٦ ، أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ، القاهرة ١٩٣٩م ، ص ٤ ٠ هذا ويذكر الخالدى أن البيمارســـتان كلمـــة فارسية تعنى بيت الضعيف ، أنظر المقصد الرفيع ، مخطوط ، ورقة ١٣٣ ٠

(٣) الدار القطبية تنسب الى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العـــادل أبى بكر بن أيوب ، انظر المقريزى ، المواعظ والاعتبار ، م٢ ، ص٤٠٦ ٠

(٤) انظر ترجمة علم الدين سنجر الشجاعى فى : ابن تغرى بردى ، المنهل ، جـ٦ ، ص ٨٠ ـ ٨٣ ، النجوم ، حـ٨ ، ص ٥١ ـ ٥٢ ٠

أن يعمر هذه الدار مارستاناً ، ويقف عليه الأوقاف ؛ فقالت له : كما يروى العينى ـ « شىء يكون لنا فيه أجر ففيه السمع والطاعة ، أما لأجل السكنى فنحن أحق بالسكنى من غيرنا »(٥) ٠

ويتضح من رواية العينى ان مؤنسة خاتون قبلت بيع هذه الدار للسلطان طالما أنه سيستغلها فى عمل خيرى ، رأت فيه حسن الأجر والثواب ٠

وفى ١٨ ربيع الأول ٦٨٢هـ/١٧ يونيه ١٢٨٣م عهد السلطان المنصور قلاوون الى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى بالاشراف على عمارة هذه الدار لتكون مارستانا فأظهر الاهتمام والاحتفال بما لم يسمع بمثله ، وتممه فى مدة يسيرة ، اذ اكتملت عمارة البيمارستان فى ربيع الآخر / يونيه من العام التالى (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) أى أن عمارته لم تستغرق سوى أحد عشر شهراً(٦) ٠

وأفتتح السلطان المنصور قلاوون هذا البيمارستان فى حفل مشهود حيث جلس به ومعه الأمراء والقضاة والعلماء ٠ ويحدثنا النويرى عن مراسيم هذا الاحتفال فيذكر أن بعضا ممن شهد الحفل أخبره بأن السلطان استدعى قدحاً من الشراب فشربه ، ثم قال [قد وقفت هذا على ملثى فمن دونى]٠ وأوقفه السلطان على الملك والمملوك والجندى والأمير ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والانثى(٧) ٠ وجاء هذا

---

(٥) العينى ، عقد الجمان ، حـ٣ ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٩٠م ، ص ٢٥٧ ٠

(٦) المقريزى ، المواعظ والاعتبار ، م٢ ، ص ٤٠٦ ، السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، ص ٧١٦ ـ ٧١٧ ، النويرى نهاية الارب ، حـ٣١ ، تحقيق السيد الباز العرينى ، ص ١٠٦ ، القاهرة ١٩٩٢م ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، م٧ ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٤٢م ، ص ٢٧٨ ، العينى ، عقد الجمان ، حـ٢ ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص ٣٢٦ ، وانظر أيضا : أحمد عيسى تاريخ البيمارستانات ص ٨٥ ، محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص ١٥٨ ، ١٥٩٠

(٧) النويرى ، نهاية الارب ، حـ٣١ ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ، وانظر أيضا المقريزى المواعظ ، م٢ ، ص ٤٠٦ ، ابن الفرات ، م٨ ، ص ٩ ، وانظر كذلك أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص ٨٦ ٠

اعلاناً صريحاً من السلطان المنصور بأباحة استخدام البيمارستان لجميع الطبقات،العليا منها والدنيا،دون تفرقة بين غنى وفقير أو رجل وامرأة.

وقد نصت وثيقة وقف المنصور قلاوون المؤرخة فى ١٢ صفره/١٠ ابريل ١٢٨٦م(٨) على ذلك اذ جاء فيها : « وهـــذا البيمارستان الذى وقفه مولانا السلطان المنصور قلاوون ... لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنســـاء من الأغنيـاء المثرين والفقـــراء المحتاجين بالقاهرة ومصر وضواحيها...على اختلافأجناسهم وأوصافهم وتباين أمراضهم..»(٩).

وأوقف السـلطان المنصـــور قلاوون الكثير من املاكه للصرف على مصالح البيمارستان ، حتى يضـــمن له الاستمرار فى أداء مهمته وتحقيق الغرض الذى أنشأ من أجله . وكانت هذه المخصصات تشـمل رباعاً(١٠) وبساتين وقياسر(١١)وحوانيت وحمامات واحكاراً ، وغير ذلك من ضياع الشام وما يتحصل من أجر ذلك وريعه وغلاته فى كل شهر(١٢) .

أما عن تفاصيل هذه الأوقاف فقد وردت فى وثيقتى وقف المنصور

---

(٨) قام بنشر هذه الوثيقة أ.د. محمد محمد أمين وأوردها فى ملاحق كتاب ابن حبيب ، تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، الجزء الاول ، والذى قام بتحقيقه كذلك القاهرة ١٩٧٦م .

(٩) انظر نص الوثيقة فى تذكرة النبيه ، حـ١ ، ص ٣٥٨ ــ ٣٥٩ .

(١٠) رباع ومفردها ربع ويقصد به فى العمارة فى العصر المملوكى مبنى به مجموعات من الوحدات السكنية وغالبا تعلو خان أو وكالة أو حوانيت ، وكل مجموعة من الوحدات السكنية لها مدخل وسلم خاص بها ربع ، أى من الممكن أن يكون بالمبنى الواحد أكثر منربع . انظر : محمد محمد أمين وليلى على ابراهيم ، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية ، مصر ١٩٩٠م ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(١١) قياسر مفردها قيسارية وهى وحدة معمارية تشبه سوقا مستقلا ، تحيط بها من الخارج حوانيت وفى الداخل صحن داخلى تحيط به حوانيت أيضا وحواصل، ويكون لها عدة مداخل ، وتعلوها وحدات سكنية يسكنها فى الغالب الصناع الذين يبيعون انتاجهم بالحوانيت .

انظر محمد محمد أمين وليلى ابراهيم ، المصطلحات المعمارية ، ص ٩٢ .

(١٢) المقريزى ، نهاية الارب ، حـ٣١ ، ص ١٠٦ ، ابن الفرات ، م٨ ، ص ٩ ، بيروت ١٩٣٩م ، وانظر أيضا أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص ٨٥.

قلاوون المؤرختين فى ١٢ صفر/١٠ ابريل ، ٢١ صفر/١٩ ابريل عـــام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م(١٣) على النحو التالى :

الرباع ومنها «الربع الكامل المعروف بالعلمى أرضا وبناء،الذى هو بالقاهرة المحروسة بالقرب من قيسارية جهاركس ٠٠٠٠ ويشتمل هذا الربع على ثلاث فرجات ٠٠٠ وعدة حوانيت ٠٠٠٠ »(١٤) ٠

ومن البساتين تذكر وثيقة قلاوون « جميع البستان المعروف بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب الشعرية والفتـــوح ٠٠٠٠ ومساحته أحـــد وعشرون فداناً وربع فدان وسدس فدان وثمن فدان ٠٠٠ »(١٥) ٠

أما القياسر فمنها جميع القيسارية التى بالقاهرة المحروسة بأول بين القصرين ٠٠٠ وتشتمل على حوانيت ٠٠٠ وجمـــلة ما فى القيارسية من الحوانيت بطناً وظهراً ثلاثة وســتون حانوتاً وأربعة مقاعد ٠٠٠ »(١٦) وقيسارية أخرى بالقاهرة المحروســـة بين القصرين التى سفلها حوانيت وعلوها دسترقات ٠٠٠(١٧) وبباطن هذه القيسارية حوانيت عدتها ستة وثلاثون حانوتاً ٠٠٠(١٨) ٠ وقيسارية ثالثة تقع بجوار الحمام المعروف بحمام البياطرة ٠٠٠ وتشـــتمل على حوانيت متجاورة ومتقابلة عدتها اثنان وخمسون حانوتاً ٠٠ »(١٩) ٠

ومن الحمامات : جميع الحمام الواقع بجوار المصنع المعلق (أى

---

(١٢) قام بنشر هاتين الوثيقتين د٠ محمد محمد أمين ٠ انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، جـ١ ، ص ٢٩٥ ـ ٣٩٦ ٠

(١٤) لمزيد من التفاصيل عن محتويات هذا الربع انظر وثيقة وقف المنصـــور قلاوون في تذكرة النبيه ، جـ١ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠ ٠

(١٥) وثائق المنصور قلاوون ، ص ٣٣٨ ـ ٣٤١ ٠

(١٦) وثائق المنصور قلاوون ، ص ٣٤١ ـ ٣٤٤ ٠

(١٧) مسترقات مفردها مسترقة وهى عبارة عن خزانة توجد فى مكان بين أدوار المبنى وهى التى نسميها الآن المسروقة ٠ انظر محمد محمد أمين وليلى ابراهيم، المصطلحات المعمارية ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ٠

(١٨) وثائق وقف المنصور قلاوون ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٦ ٠

(١٩) وثائق وقف المنصور قلاوون ، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ٠

حوض خزن المياه)(٢٠) ، وكذلك جميع الحمامين المتجاورين بالقاهرة المحروسة بخط الخرنشف(٢١) والأسطبل الجميزة(٢٢) ٠

وقد قدر ابن عبد الظاهر الدخل السنوى الذى كان يتوافر من ريع هذه الأوقاف المتعددة التى شملها كتاب وقف المنصور قلاوون على مصالح البيمارستان ، فقال : « كانت أوقاف البيمارستان تشتمل فى كل سنة على ستين ألف دينار »(٢٣) ٠ فى حين قدر المقريزى هذا الدخل بالدرهم فقال : « انه كان يتوافر من جملة الأملاك الموقوفة على البيمارستان فى مصر وغيرها ما يقارب ألف ألف درهم فى السنة »(٢٤) ٠

وتحدث ابن شاهين الظاهرى عن كيفية توزيع هذا الريع فذكر ان المنصور قلاوون قرر وقفه فى كل سنة أربعين ألف مثقال ذهب ، وأفرد من ذلك بعمارته وخدامه أربعة آلاف ، وقرر مصروفه فى كل يوم مائة مثقال(٢٥) ٠

والى جانب أوقاف المنصور قلاوون على مصالح البيمارستان المنصورى كانت هناك أوقافاً أخرى من أمثلتها وقف السيدة جانم عتيقة الجمالى يوسف وزوجة الأمير يشبك خازندار الملك المنصور قلاوون ، اذ توجد وثيقة وقف أخرى مثبتة بالهامش الأيمن لوثيقة السلطان المنصور قلاوون المؤرخة فى عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م ، وهذه الوثيقة باسم السيدة

---

(٢٠) عن المصنع انظر محمد محمد أمين وليلى ابراهيم المصطلحات المعمارية ، ص ١٠٨ ٠

(٢١) خط الخرنشف يقع بين حارة برجوان والكافورى ٠ وعنه انظر المقريزى ، المواعظ ، م٢ ، ص ٢٧ ـ ٢٨ ٠

(٢٢) لمزيد من التفاصيل عن هذه الحمامات انظر وثائق المنصور قلاوون ، ص ٣٥٣ ، أما عن اسطبل الجميزة فيقع بجوار القصر الغربى الفاطمى ، وعرف بهذا الاسم لوجود شجرة جميز كبيرة فى وسطه ، انظر المقريزى، المواعظ ، حـ١،ص٤٦٤ ٠

(٢٣) نقلا عن ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ١ ، ق١ ، ص ٣٥٣ ٠

(٢٤) المقريزى ، المواعظ ، م٢ ، ص ٤٠٦ ٠

(٢٥) ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، تحقيق بولس روايس ، باريس ١٨٩٤م ، ص ٢٩ ٠

جانم(٢٦) . وتنص على ايقاف « مائة وثمانية وستون فـــداناً بناحية أطفيح ، وقد أوقفت السيدة المذكورة ثلث ريع هذا الوقف على مصالح تربتها...أما ثلثى ريع هذه الأراضى فقد أوقفتها على مصالح البيمارستان المنصورى المحددة فى كتاب وقفه على مصالح المرضى به وأرباب وظائفه طبقا لشروط الواقف »(٢٧) .

وأهتم عدد من السلاطين بعد المنصور قلاوون بوقف الأوقاف على مصالح البيمارستان المنصورى أســـوة بالسلطان المنصـــور . ومن هؤلاء المنصور حاجى آخر أحفاد قلاوون فقد أصـــدر مرسوماً مؤرخاً فى ١٧ ذى الحجة سنة ٧٩١هـ/٨ ديسمبر ١٣٨٨م ونصه : « برز المرسوم الشريف السلطانى الملكى المنصورى خلد الله ملكه ان ينعم على مستحقى ريع وقف البيمارستان المنصورى ما يخص بيت المال السلطانى من ارث من يتوفى من أرباب وظائفه ومباشريه وسكان أوقافه ... نعمة مستمرة على الدوام والاستمرار لا يتغير حكمها ولا يندرس رسمها ، ولعنـة اللـــه على من يسعى فى تبديله أو ابطاله ، فمن بدله بعد ما سمعه فأنما اثمه على الذين يبدلونه »(٢٨) .

وخصص السلطان الاشرف برسباى كذلك فى جمادى الأولى ٨٣٤هـ/ يناير١٤٣٠م ثلث ريع ناحية كنيسة سردوس(٢٨) على مصالح البيمارستان

---

(٢٦) وهى وثيقة رقم ٧٠٦ جديد أوقاف ، وقد قام بنشرها محمد سيف ، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك . رسالة دكتوراة غير منشورة ، آداب سوهاج ١٩٨٠م ، ص ١٣٨ ، ص ١٠٤ .

(٢٧) محمد سيف ، منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص ١٣٨ .

(٢٨) انظر

Van Berchem : Materiaux pour Un Corpus Inscriptorum Arabicarum, P.1, p. 134 — Egypt, Paris,1903

وانظر أيضا محمد سيف ، منشآت ، ص ٨٧ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف على الآثار ، القاهرة ١٩٦٦م ، جـ٢ ، ص ١٢١٧ .

(٢٩) سردوس قرية تابعة لبلدة دسوق بالغربية ، وتقع شمالها بنحو خمســة كيلو مترات ونصف .

المنصورى،وذلك فى وثيقة وقفه المسجلة بواجهة خانقاته بالصحراء(٣٠).

كذلك أوقف طبيب العظام الشـــهير (المجبر) أبو زكريا يحيى بن موسى فى عام ٨٧١هـ/١٤٦٦م عدة أوقاف على البيمارستان المنصورى ، ومنها ما يقع خارج باب زويلة وهى عبارة عن قاعة واسطبل ومطبخ ، وقاعة أخرى كبيرة ومنافع وحقوق . وقـــد جعل أبو زكريا ريع هـــذه الأوقاف ثلاثة اثلاث ، ثلث للبيمارستان المنصورى ، وثلث للحرم المكى، وثلث لمدينة طيبة الشريفة (أى المدينة لمنورة) . وفى حالة تعذر صرف ريع هذه الأوقاف على فقراء ومساكين الحرمين الشريفين ، يؤول الريع الى البيمارستان المنصورى(٣١) .

وأوقف الطبيب أبو زكريا أيضا أوقافا أخرى خارج القاهرة المحروسة وعند باب الفتوح وباب الشعرية ، ومنها الدار الواقعة بزقاق الكحل ، واشترط أبو زكريا ان يقسم ريع هذه الأوقاف بالسوية بين البيمارستان المنصورى وبين الخانقاه الصلاحية بدار سعيد السعداء .واذا تعذر الصرف على الخانقاة ، ينقل الريع الى البيمارستان المنصـورى . كذلك اشترط أبو زكريا مشـــاركة ناظـــر البيمارستان المنصورى والخانقاة الصـلاحية لناظر وقفه(٣٢) .

يتضح مما سبق أن البيمارستان المنصورى كانت له أوقاف عـديدة منذ نشأته وطيلة عصر سلاطين المماليك . وطبقا لنظام الوقف الاسلامى كان لكل وقف ناظر ، يتولى ادارة شئونه ورعاية مصالحه . وجرت العادة فى العصر المملوكى أن يتولى الواقف النظـــر فى أوقافه أثناء حياته ، ثم يعهد بذلك من بعده لأولاده وذريته أو لمن يعينهم من الأمراء الذين يخلفونه فى وظيفته ، أو الشيوخ أو القضاة.وربما قد يكون النظر مشاركة

---

(٣٠) Van Berchem, I, p.p. 369-370

وأنظر أيضا محمد سيف ، منشآت ، ص ١٠٥ .

(٣١) انظر وثيقة وقف الطبيب أبو زكريا ، محفظة ٢٤ حجة ١٥٤ (وثائق محكمة الاحوال الشخصية والولاية على النفس) .

(٣٢) انظر وثيقة وقف الطبيب أبو زكريا .

بين أحد الأمراء بحكم منصبه أو أبناء الواقف أو عتقائه(٣٣) ٠

وفيما يختص بالبيمارستان المنصورى نصت وثيقة وقف المنصور قلاوون المؤرخة فى ٢١ صفر سنة ٦٨٥هـ على « ان السلطان المنصور قلاوون جعل النظر فى هذا الوقف والولاية عليه لنفسه الشريفة ٠٠٠ أيام حياته ٠٠٠ ثم من بعده ٠٠٠ للأمثل فالأمثل من أولاده وأولاد أولاده أن سفلوا ، ثم الأمثل فالأمثل من عتقائه،ثم لحاكم المسلمين الشافعى المذهب بالقاهرة ومصر المحروستين ، فان لم يكن فللحاكم على أى مذهب كان »(٣٤) ٠

وهكذا فان السلطان المنصور كان هو الناظر على البيمارستان المنصورى وأوقافه ٠ غير أن مشاغله الكثيرة كانت تجعل من الصعب عليه مباشرة النظر على هذا البيمارستان وأوقافه بنفسه ،لذلك كان يلجأ الى تعيين نائب عنه ، وقد نصت الوثيقة على ذلك اذ جاء فيها « وله ان يستنيب عنه فى ذلك ان شاء »(٣٥) ٠ ولذلك وكل السلطان المنصور الأمير عز الدين ايبك الافرم الصالحى أمير جندار(٣٦) فى النظر على ما عينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم(٣٧) ٠ وورد ذلك مفصلا فى وثيقة وقف المنصور قلاوون المؤرخة فى ١٢ صفر ٦٨٥هـ اذ نصت على : « فتقدم أمره الشريف العالى٠٠ الى ولى دولته ٠٠ والمتشرف بخدمته والمخصوص فى هذا الوقف بوكالته ، الجناب الأميرى الأجلى ٠٠ أبى سعيد ايبك بن عبد الله الملكى الصالحى النجمى المعروف بالافرم

---

(٣٣) انظر وثيقة وقف الأمير أخور كبير قراقجا الحسنى ، دراسة ونشر وتحقيق عبد اللطيف ابراهيم ، بحث منشور بمجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، م ١٨ ، ج٢ ، ديسمبر ١٩٥٦م ، ص ٣٠٤ ٠

(٣٤) انظر نص وثائق المنصور قلاوون فى ملاحق ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج١ ، ص ٣٩٢ ، ٣٦٩ ٠

(٣٥) انظر وثيقة قلاوون ، ص ٣٩٢ ٠

(٣٦) انظر ترجمته فى ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، ج٣ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٢ ، النجوم ، ج١ ، ص ٨٠ ـ ٨١ ، العينى ، عقد الجمان ، ج٣ ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩٠

(٣٧) المقريزى ، المواعظ والاعتبار ، م٢ ص ٤٠٧ ٠

أمير جاندار الملكى المنصورى الســـيفى ... ان يقف عنه .. ويحبس ويسبل جميع ما هو جار فى ملك السلطان الملك المنصور »(٣٨) .

ومن الواضح أن اختيار السلطان المنصور قلاوون وقع على واحد من كبار الأمراء بالديار المصرية ، ممن يحتلون مكانة كبيرة عنده ليوليه النظر على أوقاف البيمارستان المنصورى نيابة عنه . وقد عبر القلقشندى عن هذا الاختيار فى عبارة نصـــها : « ويتولى النظـــر فيها عادة من العسكريين أكبر الأمراء بالديار المصرية »(٣٩) .

وبعد وفاة السلطان المنصـــور قلاوون فى ٦٨٩هـ/١٢٩٠م كان من الطبيعى أن يخلفه ابناؤه فى نظـــر البيمارستان المنصورى طبقا لنص وثائق وقف المنصور قلاوون نفسه ، غير أن المصادر لم تذكر شيئا عن ذلك خلال سلطنة الاشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣هـ/١٢٩٠ ـ ١٢٩٣م) بينمـــا تذكر المصادر أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولى ـ الأمير جمال الدين أقوش بن عبد اللـــه الاشرفى(٤٠) ـ نظر هـــذا البيمارستان فى جمادى الآخـــرة ٧٢٣هـ/يونيه ١٩٢٣م وذلك كنائب عنه . وكان هـــذا الأمير يجلس رأس الميمنة ، ويقوم له السلطان ، واذا دخـــل ميزة عن غيره(٤١) . وهذا يعنى أن من ينوب عن السلطان فى نظر البيمارستان المنصورى كان على درجة من سمو المكانة بحيث يجلس رأس الميمنة فى حضرة السلطان .

وبعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون ارتقى عـــرش الســـلطنة ابنه المنصور أبى بكر فى (٣٤٢هـ/١٣٤٢م) وعين فى عهده الأمير جنكلى بن البابا(٤٢) ناظراللبيمارستان المنصورى بالنيابة فى ٣ صفر ٧٤٣هـ/ ٩

---

(٣٨) انظر وثيقة وقف المنصور قلاوون ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .

(٣٩) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ٤ ، ص ٣٨ .

(٤٠) من مماليك الاشرف خليل ، ولى نيابة الكرك ، فنيابة دمشق ، وتوفى فى ٧٣٦هـ/١٣٣٥م ، انظر ترجمته فى المنهل الصافى ، حـ٣ ، ص ٢٧ ـ ٣٠ .

(٤١) ابن تغرى بردى ، المنهل ، حـ٣ ، ص ٢٧ .

(٤٢) انظر ترجمته فى ابن تغرى بردى ، المنهل ، حـ٥ ، ص ٢٢ ـ ٢٤ ، النجوم

يوليو ١٣٤٢م ٠ فجلس هذا الأمير بدوره رأس الميمنة كعادة من يلى هذا المنصب(٤٣) ٠

ومن المعروف أنه خلال عصر أبنـــاء الناصر محمـــد وأحفاده كان السلاطين صغاراً ضعافاً ، ولذلك تولى أمرهم اتابكة العساكر ، وأصبح هؤلاء هم المتحكمون فى البلاد،وصاروا القائمين بأمورها مقام السلاطين، لذلك آلت اليهم وظيفة نيابة نظر البيمارستان المنصورى٠ يذكر القلقشندى فى هذا الصدد « ويكون نظر البيمارستان المنصورى بالقاهرة مع اتابك العساكر »(٤٤) ٠ وعلى سبيل المثال حدث خلال سلطنة الاشرف شعبان الثانية (٧٦٨ ـ ٧٧٨هـ/١٣٦٦ ـ ١٣٧٦م) أن تولى عدد من الأتابكة نيابة نظر البيمارستان المنصورى ، ومن هؤلاء منكلى بغا الشمسى(٤٥) (فى رجب ٧٦٩/فبراير ١٣٦٨م)(٤٦) ثم الجاى اليوسفى(٤٧) فى (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) وخلفه بعـد وفاته (١٠ محـــرم ٧٧٥هـ/٣ يوليـــو ١٣٧٣م) أيدمـــر الشـــمسى(٤٨) فى الأتابكية ونظـــر البيمارستان المنصورى(٤٩) ٠

كذلك تولى عدد من الاتابكة نيابة نظر البيمارستان المنصورى فى عهد المنصور على بن الاشرف شعبان (٧٧٨ ـ ٧٨٣هـ/١٣٧٦ ـ ١٣٨١م)

=

حـ١٠ . ص ١٤٢ ـ ١٤٤ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، حـ٢ ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، الصفدى، أعيان العصر وأعوان النصر ، مخطوط ، حـ١ ، ورقة ٣٠٠ ـ ٣٠١ ٠

(٤٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٠ ، ص ١٤٤ ٠

(٤٤) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ٤ ، ص ١٨٤ ٠

(٤٥) انظر ترجمته فى الدرر الكامنة ، حـ٥ ، ص ١٣٧ ، المنهل ، حـ٦ ، ص ٢٣٧ ، النجوم ، حـ ١١ ، ص ٤٩ ، ١٢٤ ـ ١٢٥ ٠

(٤٦) المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ١٥٧ ٠

(٤٧) انظر ترجمته فى المنهل ، حـ٣ ، ص ٤٠ ـ ٤٤ ٠

(٤٨) انظر ترجمته فى الـــدرر الكامنة ، حـ١ ، ص ٤٥٨ ، المنهـــل ، حـ٢ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٩ ٠

(٤٩) المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٢٣٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ١ ، ق٢ ، ص ١٤٢ ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، حـ٢ ، ص ٢٣٦ ٠

ومن هؤلاء الأمير قرطـــاى الطازى(٥٠) فى (المحـــرم ٧٧٩هـ/مايو ١٣٧٧م) ثم خلفه الأمير اينبك البدرى(٥١) بعـــد وفاته فى (صـفر ٧٧٩هـ/يونيه ١٣٧٧م)(٥٢) ٠

ومع بداية عصر دولة المماليك الجراكسة وارتقاء السلطان الظاهر برقوق العرش فى (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) أصبح زمام الأمور فى يده لكونه سلطاناً رشيداً٠ لذلك تولى نظر البيمارستان المنصورى كناظر شرعى عملا بما جاءفى وثائق وقف المنصور قلاوون ، وخرج برقوق بنفسه لتفقـــد أحوال البيمارستان،فتذكر المصادر(٥٣) فى رجب من عام ٧٨٥هـ/١٣٨٣م أن السلطان برقوق نزل بالبيمارستان المنصورى ، وتفقد أحواله وعـــاد المرضى ، ووصاهم بالضعفاء وبالأوقاف والمستأجرات ٠ ثم ما لبث السلطان برقوق ان اناب عنه فى نظر البيمارستان المنصورى عدد من الاتابكة وذلك لكثرة مشاغله ، ومن هؤلاء الاتابكة : الأمير سيف الدين قرا دمرداش(٥٤) فى جمـادى الأولى ٧٩١هـ/مايو١٣٨٩م(٥٥) ٠ والأمير ســـيف الدين كمشبغا الكبير(٥٦) وذلك خلال سلطنة برقوق الثانية (٧٩٢ ـ ٨٠٢هـ/ ١٣٨٩ ـ ١٣٩٩م) ، وتحدث فيـــه كمشبغا على العادة(٥٧) ٠ وبعـد

---

(٥٠) انظر ترجمة قرطاى فى ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ١ ، ص ٢٥٦ ٠

(٥١) انظر ترجمة اينبك البدرى فى المهنل ، حـ٣ ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ ٠

(٥٢) المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١١ ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٢٠٣، ليلى عبد الجواد ، اتابك العساكر ، ص ٧٨ ٠

(٥٣) الصيرفى ، نزهة النفوس ، حـ١ ، ص ٧٤ ، ابن حجر ، انباء الغمـــر ، حـ٢ ، ص ١٣٤ ، النجوم ، حـ١١ ، ص ٢٣٥ ٠

(٥٤) انظر ترجمة قرا دمرداش فى ابن حجر ، الدرر ، حـ٣ ، ص ٣٢٩ ـ٣٣٠ ٠

(٥٥) انظر ابن الفرات ، م٩ ، حـ١ ، ص ٧٤ ، المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ،ق٢، ص ٦٠٦ ٠

(٥٦)) انظر ترجمة كمشبغا فى السخاوى ، الضـــوء اللامع ، حـ٦ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ ٢٤ ، ص ٧٧ ـ ٧٩ ، محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى ، حـ ١ ، ص ١٧٨ ـ ١٨٠ ٠

(٥٧) المقريزى ، السلوك ، حـ ٣ ، ق٢ ، ص ٧٦٦ ، ابن الفرات ، م٩ ، حـ٢ ، ص ٣٠١ ٠

القبض على كمشبغا الحموى فى شـــعبان ٥٨٠٠هـ/نوفمبر ١٣٩٧م خلع السلطان على الأمير ايتمش البجاسى(٥٨) بأتابكية العساكر وباستقراره فى نظر البيمارستان المنصورى(٥٩) ٠

ومنذ ذلك التاريخ الذى تولى فيه ايتمش البجاسى اتابكية العساكر ونيابة نظر البيمارستان المنصورى (شـــعبان ٨٠٠هـ/نوفمبر ١٣٩٧م) أستمرت نيابة نظر البيمارستان المنصورى مع كل من يلى الأتابكية بمصر، كما يذكر ابن تغرى بردى(٦٠) ٠ وبذلك جرى العرف على أن تكون ولاية نظرالبيمارساتن المنصورى لاتابك العساكر بالديار المصرية ٠ ومع ذلك فقد اهتم السلاطين بالاشراف على البيمارستان المنصورى وبصـــفة خاصة فى فترة شغور الاتابكية ٠ ومن أمثلة هؤلاء السلطان المؤيد شيخ والسلطان برسباى ٠ ويذكر ابن حجر « ان السلطان مؤيد شيخ ركـــب هو وولده الأمير ابراهيم فى ١٦ جماده الأولى ٨٢١هـ/٢٢يونيه ١٤١٨م والأمراء ، ونزل الى البيمارستان المنصورى وهو بثياب جلوسه ، فزار المرضى ، وتفقد أحـــواالهم ، ثم دخل الى المجانين وتفقـــد أحـــوالهم كذلك »(٦١) ٠

أما عن السلطان برسباى فقد نزل من القلعة فى ربيع الآخر ٨٣٧هـ/ نوفمبر ١٤٣٣م بعد الخدمة ، وصحبته القاضى عبد الباسط ناظر الجيش والكمال ابن البارزى كاتب السر ، والتاج الشويكى والى القاهرة ، وتوجه الى البيمارستان لتفقد أحواله ، وليلى التحدث فيه بنفسه ـ لأنه لم يول نظره أحداً بعد الأمير سودون عبد الرحمن ، والأتابكية شاغرة منذ عـزله منها ـ ولما وصل السلطان الى البيمارستان رســـم للطواشى صفى الدين

---

(٥٨) انظر ترجمة أيتمشى البجاسى فى الضوء اللامع ، حـ٢ ، ص ٣٢٤ ، المنهل حـ ٣ ، ص ١٤٣ ـ ١٥١ ٠

(٥٩) ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٢ ، ص ٧٩ ، المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق٢ ، ص ٨٩٧ ، الصيرفى ، نزهة النفوش ، حـ١ ، ص ٤٦٣ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ١ ، ق٢ ص ٤٩٨ ٠

(٦٠) النجوم ، حـ١٢ ، ص ٧٩ ٠

(٦١) ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ٧ ، ص ٣٠٧ ٠

جوهر الخازندار ان يتكلم على البيمارستان لما عساه يحدث من أمور ، فاستمر على ذلك حتى عين السلطان برسباى اينال الجكمى(٦٢) فى الاتابكية فى (رجب ٨٣٧هـ/١٤٣٤م) ونظر البيمارستان المنصورى فى شعبان من نفس العام(٦٣) .

وكان الأمير الكبير الذى يلى نيابة النظر بالبيمارستان المنصورى يعهد بدوره الى أحد المتعممين بنظر البيمارستان المنصورى نيابة عنه ، وذلك لكثرة أعبائه ومشاغله . ويشترط فيه كما يذكر الخالدى أن يكون « ممن يؤهله نظره ، ولا ينفرد به فى أمر مهم ، بل عليه بمراجعة الأمير الكبير وتوقيعه »(٦٤) .

لذلك لا غرابة فى أن يضع القلقشندى صحابة أو نيابة نظر البيمارستان ا لمنصورى بين الوظائف الديوانية ، وكذلك بين الوظائف الدينية معا ، فهو يذكر عند ترتيبه للوظائف الديوانية أن « الوظيفة الثالثة والعشرين لارباب الوظائف الديوانية هى صحابة ديوان البيمارستان وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر البيمارستان »(٦٥) .

وقد وضع القلقشندى صحابة نظر البيمارستان بين الوظائف الديوانية على أساس أن السلطان هو الذى يعين صاحبها، لا بوصفه سلطاناً وانما بوصفه ناظراً شرعياً على أوقاف البيمارستان المنصورى . وذكر القلقشندى أيضا صحابة نظر البيمارستان المنصورى عند ذكره لارباب الوظائف الدينية فقال : « والمتحدثون على جهات البر العامة المصلحة : كنظر الاحباس والبيمارستان المنصورى وما أشبه ذلك فتوليته الى

---

(٦٢) انظر ترجمة اينال الجكمى فى المنهل ، حـ٣ ، ص ١٩٦ ـ ١٩٩ .

(٦٣) المقريزى ، السلوك ، حـ٤ ، ق٢ ، ص ٩٠٧ ـ ٩٠٨ ، ٩١٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٥ ، ص ٣٧ ٤٠ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، حـ٣ ، ص ٢٧٧، ٢٨٢ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ٢ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٦٤) الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة ١٣٣ .

(٦٥) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ٤ ، ص ٣٤ .

نوابها ... »(٦٦) ٠

ويرجع اختيار أحد المتعممين بالذات ليلى صحابة نظر البيمارستان المنصورى الى أن هذه الوظيفة من الوظائف الأكثر حساسية ، اذ تتعلق بالنواحى المالية ، ولذلك لابد وان تتوفـــر فى صاحبها الامانة والكفاية والعدل والأهلية ،الى جانب الاخلاق العالية والعلم الوفير وقوة الشخصية ، حتى يصبح باستطاعته القيام بواجبات هذه الوظيفة ومسئولياتها بجدارة وعلم وعلى الوجه الأكمل ٠ وقد جاء فى نسخة توقيع كتبت لأحد صحابة نظر البيمارستان ذكر للصفات التى يجب ان يتحلى بها الناظـــر ومنها « النزاهة والتعفف ، وكرم السجايا والطباع ، وسعة الصـــدر فى تلقى المهمات الى جانب حسن معرفته واطلاعه »(٦٧) ٠ وهذه من الشروط الأساسية التى كان يجـــب توافـــرها فى المتعممين من مشـايخ وقضـاة ومحتسبين وغيرهم ، مما دفع من يتولوا صـحابة نظـــار البيمارستان المنصـورى من الأمـراء الى اختيـــار المتعممين نواباً عنهم فى نظـــر البيمارستان المنصورى ٠ وقد توافرت هذه الشروط فى عـــدد كبير من المتعممين الذين تولوا نيابة النظر بالبيمارستان المنصورى ، ومن هؤلاء على ســـبيل المثال لا الحصر شـــهاب الدين أحمد بن عبادة الأنصارى الذى كان يتصف كما تذكر المصادر(٦٨) بالنزاهة والأخلاق العالية فضلا عما عرف عنه من حرمة قوية،وما تمتع به من خبرة فى الشئون المالية ، حتى أنه كان وكيل السلطان الناصر محمدبنقلاوون والمتحدث فى أملاكه٠

كذلك أتصف القاضى فخرالدين عثمان بن مصطفى التركمانى(٦٩) بالأخلاق العالية والعلم الوفير والشخصية القوية والأمانة، مما جعل الأمير

---

(٦٦) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ٩ ، ص ٢٥٦ ، حـ١١ ، ص ٣٨ ٠
وانظر أيضا : ابن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ ٠
(٦٧) انظر نسخة التوقيع فى القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ١١ ، ص ٢٦٢ ٠
(٦٨) انظر ابن حجر ، الدرر ، حـ١ ، ص ٢٢٣ ، المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق١ ، ص ٨٢ ٠
(٦٩) ولد فى ٦٦٠هـ ، وتفقه على مذهـــب الحنفية وبرع فيه ، وشرح الجامع الكبير فى عدة مجلدات ، انظر ترجمته فى الدرر ، حـ٣ ، ص ٤٩ ٠

جمال الدين أقوش(٧٠) يعهد اليه نيابة نظر البيمارستان المنصورى ، وظل يشغل هذا المنصب حتى توفى فى عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م(٧١) ٠

ومن المتعممين أيضا الذين اتصـــفوا بالكفاءة والأمانة ضياء الدين يوسف الشهير بابن خطيب بيت الآبار الشامى(٧٢) ٠ ويذكـر اليوسفى أنه أظهر فى مباشرة البيمارستان « النهض والكفاية والأمانة »(٧٣) ٠ ومن أجل ذلك ولى نيابة نظر البيمارستان المنصورى ثلاث مرات ٠

ومن جهة أخـــرى فانه من المتعممين ـ الذين تولوا نيـــابة نظر البيمارستان ـ من افتقر الىالشروط السابقةفكانت تنقصهالكفاءةوالمقدرة، مع كثرة مهاداة رجال الدولة٠ومن هؤلاء : علاء الدين بن الاطروش(٧٤) الذى باشر نيابة نظر البيمارستان المنصورى بعد عزل الضياء الشامى فى ١١ ذى القعدة ٧٤٥هـ/١٧ مارس ١٣٤٥م وحتى المحرم من عام ٧٥٢هـ/ مارس ١٣٥٠م ، عندما قام السلطان الصالح الحسن بن محمد بن قلاوون بعزله واعاد الضياء الشامى ثانية ٠ ويذكر المقريزى أن من الأسباب التى دفعت السلطان الى عزله جهل ابن الاطروش بالحساب وهو شرط أساسى يجب توافره فيمن يتولى نيابة النظر بالبيمارستان المنصورى،فقد جاء فى كتاب الوقف : « ويكون الناظر عارفا بالحساب وأمور الكتابة »(٧٥) ٠ هذا الى جانب عدم اهتمام ابن الاطروش بالكشف على أحوال المرضى

---

(٧٠) عن جمال الدين أقوش انظر ما سبق ٠

(٧١) المقريزى السلوك ، حـ٢ ، ق٢ ، ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ ٠

(٧٢) انظر ترجمة ابن خطيب بيت الآبار فى ابن حجـــر ، الدرر ، حـ٥ ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، الصفدى ، أعيان العصر وأعوان النصر ، مخطوط ، حـ٢ ، ورقة ٢٠

(٧٣) اليوسفى ، نزهة الناظر فى تاريخ الناصر ، ص ٢٩٦ ـ ٢٧٩ وانظر أيضا المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق٢ ، ص ٣٩٤ ، ٤١٤ ٠

(٧٤) هو علاء الدين أبو الحســـن على بن محمـد بن الاطـــروش الحنفى توفى ٧٥٨هـ/١٣٥٦م ٠

انظر المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٣٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ٣ ، ص ٣٢٧ ٠

حتى تلفت فراشهم على قول المقريزى(٧٦) ـ بعد أن مضى عليها ثلاث سنين ولم تغير • وبذلك اساء ابن الاطروش التصرف ووجب عزله •

ورغم عزل ابن الاطروش الا أنه لم تكد تمضى شهور حتى عاد الى نيابة نظر البيمارستان المنصورى، وذلك فى شعبان ٧٥٢هـ/أكتوبر١٣٥١م رغم عدم أهليته وذلك « بعناية جماعة من الأمراء لكثرة مهاداته لهم » كما يذكر المقريزى(٧٧) • وزاد الموقف سوءاً ان القاضى ابن الاطروش أنفرد بالكلام فى البيمارستان وتعطل نظره من متحدث تركى،وذلك خلال الفترة من (٧٥٢ ـ ٧٥٥هـ/١٣٥١ ـ ١٣٥٤م) • ويرجع ذلك لأنه كان يكثر من مهاداة أمراء الدولة ومدبريها(٧٨) • وهكذا يبدو واضحا أن بعض رجال الدولة عندما ساءت أحوالها كانوا لا يتحرجون عن التوسط لبعض الأفراد الجهلاء ممن يفتقرون الى الكفاية والمقـــدرة لتعيينهم فى المناصب الحساسة والخطيرة فى الدولة مثل نيـــابة نظر البيمارســـتان المنصورى •

ومن المتعممين الذين اساءوا الســـيرة واهملوا واجبهم ولم يكونوا أهلا لتولى نيابة نظر البيمارستانالمنصورى ولىالدين السفطى(٧٩) الذى استقر فى نظر البيمارستان فى (ربيع الآخر ٨٤٩هـ/يوليو١٤٤٥م) • وقد تولى هذه الوظيفة وغيرها من الوظائف التى كانت فى يده ، مثل نظر الكسوة ووكالة بيت المـــال ومشيخة الجمالية وغيرها ، عن طريق الرشوة ، وببذل قدره ثمانية آلاف دينار(٨٠) • وكانت سيرته فى النظر

---

(٧٥) المقريزى ، السلوك ، حـ ٢ ، ق٣ ، ص ٨٣٥ ـ ٨٣٦ •

(٧٦) المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق٣ ، ص ٨٣٦ •

(٧٧) المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق٣ ، ص ٨٥٢ •

(٧٨) المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٧ ـ ٨ •

(٧٩) أصله من سفط الحناء بالوجه البحرى ، وتقع فى محافظة الشرقية حاليا• انظر ترجمته فى المنهل ، حـ٤ ، ص ٣٠١ ، السخاوى ، الذيل على رفع الأمر ، ص ٢٤٥ ـ ٢٥٥ ، ٢٧٥ ، التبر المسبوك ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ ١٥ ، ص ٥٥٥ ـ ٥٥٨ ، السيوطى ، نظم العقيان ، ص ١٣٩ •

(٨٠) السخاوى ، الذيل ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، التبر المسبوك ، ص ١٤٤ ، ٣٣٥، ابن حجر ، انباء ، حـ٩ ، ص ٢٣٤ •

ـ كما يذكر ابن تغرى بردى ـ سيرة سيئة « فأخذ ما لا يستحقه واعطاه لمن لا يستحقه ، وأجمع الناس على أنه كان يخرب الأوقاف ويأخذ منها شئيا لنفسه »(٨١) ٠

كذلك يذكر ابن تغرى بردى : « أنه سلك فى الناس طريقاً غـــير محمودة من الحط على الفقهاء والترسيم عليهم ، ولا سيما المتحدثون على الأوقاف والمباشرون على الأوقاف ، فانهـم قاســوا منه خطــوباً ومحناً»(٨٢) ٠ كما أنه ـ على نحو ما يذكر ابن تغرى بردى فى موضع آخـــر ـ « امعن فى أذاهم وبهدلتهم بالضرب والحبس والترسيم وقطع معاليم (رواتب) جماعة كبيرة من الطلبة المرتبة على الأوقاف الجارية تحت نظره ٠ ولقى منه الناس شدائد كثيرة ، وصار لا يمكن المرضى من دخول البيمارستان للتمرض به الا برسالة ، ثم يخرج المريض بعـد أيام قليلة »(٨٣) ٠

أما السخاوى فيذكر عنه أنه أكثر التحـــرى فى المريض المنزل فيه بحيث زاد عن الحد ، وقل من المرضى فيه العدد ، وتحاشى الناس المجىء اليه بأنفسهم أو بمرضاهم ، وأمر بمسح دهاليزه وكنسه ، وعدم التمكين من المشى فيه بالنعال حتى ان السخاوى يذكـــر ان الشيخ أبا عبد اللـــه الراعى أنشده فى هذا المعنى :

مرســـتانكم يشـــكو الخـلاء وما به
من الكنس والمسـح الذى ليس ينفع
وناظـره اذ جـــار فى حـكمه لـــه
فيمنعه المرضى ومن ذا يجعجع(٨٤)

ونظراً لتعسف السفطى فقد نفرت منه القلوب وكثر الدعاء عليـه

---

(٨١) حوادث الدهور ، حـ١ ، ص ٩٥ ، النجوم ، حـ١٥ ، ص ٣٧١ ٠
(٨٢) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور فى مدىالايام والشهور ، حـ١ ، ص١١٢:
(٨٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ ١٥ ، ص ٥٥٧ ٠
(٨٤) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٨٧ ٠

حتى ان ابن تغرى بردى يذكر « ولقد شاهدت بعض الناس يدعو عليه فى الملتزم بالبيت العتيق فى هدوء الليل »(٨٥) ٠

حقيقة ان السـفطى بذل جهـده فى تنمية أوقاف البيمارسـتان ومسأجراته وسائر جهاته حتى الاحكار ، واهتم بتحصيل ريعه ٠ كذلك أكثر التحرى فى مرضى البيمارستان والحرص على نظافته بكنسه ومسحه؛ الا أنه ضـيق على مباشريه وعلى مرضـاه كذلك(٨٦) ٠ ونتيجة لذلك تجمعت له من الأوقاف أموال كثيرة تفوق الوصف كما يذكر السخاوى(٨٧)٠ حتى أنه صـعد الى السلطان جقمق فى سلخ ذى الحجة ٨٥١هـ/١٤٤٧م بأربعة عشر ألف دينار من حاصل البيمارستان فعرضها عليه فشكره على ذلك ، وغفل عن كونه لم يعمل فيه بمراد الواقف وان هذه المتحصلات مخصصة لمرضى البيمارستان(٨٨) ٠ غير ان السلطان جقمق (٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ/١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م) مالبث أن اصدر أمراً بعزل ولى الدين السفطى ومصادرته (ربيع الآخر ٨٥٢هـ/يونية ١٤٤٨م) بعد أن ثبت قبح أفعاله واظهار معايبه ، ووضع السلطان يده على أكثر ما نماه من متحصـل البيمارستان وغيره(٨٩) ٠

وممن باشر نيابة النظر من المتعممين ولم يكن أهلا لها أيضا يوسف السمين نائبا عن أبيه أبى الفتح المنـوفى(٩٠) اذ مشى ـ كما يذكـر الصيرفى ـ مع أهل البيمارستان على قالب لا يرضـون عنه ، وصـار لا يلتفت اليهم ، وانفرد بالكلمة مع وجود القاضى عبد الباسط الجيعان،

---

(٨٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٥ ، ص ٥٥٧ ٠

(٨٦) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٣٥ ـ ٣٣٦ ، الذيل على رفع الأصر ، ص ٢٤٨ ٠

(٨٧) التبر المسبوك ، ص ٣٣٦ ، الذيل ، ص ٢٤٨ ٠

(٨٨) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ١٨٧ ، ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور، حـ١ ، ص ١١٥ ٠

(٨٩) السخاوى ، الذيل على رفع الأصر ، ص ٢٥١ ، ابن تغرى بردى النجوم ، حـ ١٥ ، ص ٣٨٢ ، ٥٥٧ ـ ٥٥٨ ،ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ٢ ، ص ٢٦٣ ٠

(٩٠) انظر ترجمة أبو الفتح المنوفى فى السخاوى ، الضوء اللامع ، حـ٩ ، ص ١٧٩ ، الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ٠

كما أنه اساء التصرف فى أموال البيمارستان ، فصار يتغذى فى كل يوم فى البيمارستان بمائتى درهم ويأخذ ذلك من صيرفى البيمارستان أو أحد من جباته ، ويتصرف فيه تصرف الملاك(٩١) ٠

هذا بالاضافة الى ان يوسف السمين لم يعمل بمشورة الاتابك ازبك ابن طنطخ(٩٢) ، فقد حدث أن شخصاً من فراشى البيمارستان يسمى أحمد بن الصلف نزل عن ثيابه فى البيمارستان أو عن فراشه ، وأمضى يوسف السمين ذلك بخطه من غير مشورة الاتابكى ازبك ، وهو الناظر الحقيقى للبيمارستان ٠ لذلك أمر أزبك فى ذى الحجة ٨٧٦هـ/مايو ١٤٧٢م بضربه وبطحه ، فضرب ضرباً مبرحاً على اخفافه نحواً من خمسمائة عصى ، ثم أمر الاتابكى بصفعه فصفع من المماليك الى أن اخرجوه من البيمارستان(٩٣) ٠ وارجع الصيرفى سبب عدم أهلية يوسف السمين الى أنه « كان شاباً صغيراً بلا لحية عديم الأدب»(٩٤) ٠

وبالاضافة الى ما سبق ، فاننا نلاحظ على نواب نظار البيمارستان المنصورى من المتعممين أيضا عدة ملاحظات : -

أولا - ان ناظر البيمارستان المنصورى من المتعممين كان يشغل عدة وظائف الى جانب نظارته للبيمارستان : فقد جمع الضياء الشامى بن خطيب بيت الآبار بين نظر البيمارستان المنصورى ونظر الأوقاف وحسبة القاهرة فتذكر المصادر ان السلطان بحث عن محتسب ناهض ، وولى ناهض فشكر له الناس فى ضياء الدين ناظر البيمارستان والأوقاف فاستدعاه السلطان وولاه الحسبة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) وجمع بذلك بينها وبين نظر البيمارستان ونظر الأوقاف(٩٥) ٠ وعندما عزل الضياء من

---

(٩١) الصيرفى ، انباء الهضر ، ص ٤٢٨ - ٤٣٩ ٠

(٩٢) تولى ازبك صحابة نظر البيمارستان المنصورى فى عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م واستمر يشغل هذا المنصب حتى عام ٩٠١هـ/١٤٩٥م ٠ انظر ترجمته فى السخاوى ، الضوء اللامع ، حـ٢ ، ص ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ابن تغرى بردى ، المنهل ، حـ٢ ، ص

(٩٣) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ٤٢٨ - ٤٣٩ ٠

(٩٤) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ٤٣٨ ٠

(٩٥) اليوسفى ، نزهة الناظر ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق٢ ، ص ٣٩٤ ، ٤١٤ ٠

هذه الوظائف تولى عوضه الحسبة ونظر البيمارستان علاء الدين الاطروش وجمع بذلك بين الوظيفتين(٩٦) ٠

وفى جمادى الآخرة ٧٦٦هـ/مارس ١٣٦٥م خلع على القاضى تاج الدين المعروف بشاهد الجمالى(٩٧) واستقر فى وكالة الخاص بالاضافة الى نظارة البيمارستان المنصوى(٩٨) ٠ كذلك جمع الصاحب كريم الدين شاكر بن ابراهيم بن غنام(٩٩) بين نظر البيمارستان المنصورى وبين الوزارة الى جانب نظر البيوت ونظر دار الطراز (٧٧٤هـ/١٣٧٣م)(١٠٠) ٠ وفى رجب ٧٧٥هـ/يناير ١٣٧٤م خلع على برهان الدين بن بهاء الدين بن الحلى(١٠١) ناظر بيت المال ، واستقر فى نظر البيمارستان المنصورى مضافاً لما بيده من الوظائف(١٠٢) ٠ وخلع أيضا على محتسب القاهرة جمال الدين محمود العجمى(١٠٣) فى ربيع الآخر ٧٨٠هـ/اغسطس ١٣٧٨م واستقر فى نظر البيمارستان

---

(٩٦) الشجاعى ، تاريخ الناصر محمد بن قلاوون ، ص ٢٧٤ ٠

(٩٧) شغل تاج الدين بن شاهد الجمالى عدة مناصب منها مفتى دار العدل ، وشاهد الجيش ووكيل الخاص وغيرها ، وتوفى ٧٧٢هـ/١٣٧١م ٠ انظر المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ١٩٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١١ ، ص١١٨ ٠

(٩٨) عين شاهد الجمالى فى نظر البيمارستان المنصورى (٧٦٣هـ/١٣٦١م) من قبل السلطان الملك المنصور واستمر فى نظارته حتى وفاته شعبان ٧٧٢هـ/فبراير ١٣٧١م ٠ انظر : السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٩٩ ، ١٩١ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ١ ، ق٢ ، ص ١٨٠ ، ١٠٢ ٠

(٩٩) انظر ترجمة ابن غنام فى الدرر ، حـ١ ، ص ٢٠١ ٠

(١٠٠) المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٢٢١ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ١ ، ص ٧٧ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ١ ، ق٢ ، ص ١٢٨ ٠

(١٠١) انظر ترجمة برهان الدين الحلى فى ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ١ ، ص ١٥٩ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ١ ، ق٢ ، ص ١٢٩ ٠

(١٠٣) وهو قاضى القضاة الحنفية جمال الدين أبو الثناء محمود بن نور الدين على الشهير بالعجمى الرومى ٠ انظر الصيرفى ، نزهة النفوس والابدان ، حـ١ ، ص ٤٥٠ - ٤٥١ ٠

وانظر أيضا أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ، ص ١٧٦ ٠

المنصورى نيابة عن الأمير بركة(١٠٤) ٠ وجمع بذلك بين الحسبة ونظر البيمارستان شأنه فى ذلك شأن الضياء الشامى وابن الاطروش ٠

وخلع السلطان الظاهر برقوق فى شوال ٧٩٤هـ/اغسطس ١٣٩٢م على الشريف فخر الدين ناظر البيمارستان المنصـــورى نيابة عن الأمير سيف الدين كمشـــبغا الكبير(١٠٥) - وولاه مشـــيخة الشيوخ بخانقاه سرياقوس(١٠٦) ٠ وفى ربيع الآخر ٨١٥هـ/أغسطس ١٤١٢م أستقر شهاب الدين أحمد الصفدى موقع الأمـــير شيخ فى نظر البيمارستان المنصورى عوضاً عن كاتب السرفتح الله ومعها نظر الاحباس عوضاً عن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله(١٠٧) ٠ وخلع أيضا على القاضى نور الدين ابن مفلح(١٠٨) ناظر البيمارستان المنصورى واســـتقر - فى شـوال ٨٤٠هـ/ابريل ١٤٣٧م - وكيل بيت المال عوضا عن شمس الدين محمد بن يوسف ، وجمع بذلك بين نظارة البيمارستان ووكالة بيت المال(١٠٩) ٠

وشغل أيضا أبو الخير النحاس(١١٠) ناظر البيمارستان المنصورى (ربيع الآخر ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) عدة وظائف منها نظر الجوالى ونظـر

---

(١٠٤) المقريزى ،السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٣٣٥ ، ابن اياس ، بدائع ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٢٢٠ ؛ وانظر ترجمة بركة فى المنهل حـ٣ ، ص ٣٥١ ـ ٣٥٥ ٠

(١٠٥) عن الأمير كمشبغا انظر ما سبق ٠

(١٠٦) ابن الفرات ، م٩ ، حـ٢ ، ص ٣٠٩ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، حـ١ ، ص ٣٤٨ ، المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق٢ ، ص ٧٧١ ٠

(١٠٧) ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ ١٣ ، ص ٢٠٥ ، حـ ١٤ ، ص ١٤٢ ، ابن حجر ، انباء ، حـ٧ ، ص ٦٦ ٠

(١٠٨) شغل القاضى نور الدين بن مفلح نظر البيمارستان منذ عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م وحتى وفاته ٨٤١هـ/١٤٣٧م وفى عهود الاتابكة جارقطلو ، وسودون عبد الرحمن ، واينال الجكمى وجقمق العلائى ٠ انظر الملاحق ٠

(١٠٩) انظر الصيرفى ، نزهة ، حـ٣ ، ص ٣٨٤ ، المقريزى ، السلوك ، حـ٤ ، ق٢ ، ص ١٠٠٩ ، ابن حجر ، انباء ، حـ٩ ، ص ٢٤٥ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ٢،ص٠٧٦

(١١٠) عن أبو الخير النحاس انظر : السخواى ، الذيل على رفع الأمر ، ص ٢٥١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٥ ، ص ٣٨٢ ، ٥٥٧ ـ ٥٥٨ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ٢ ، ص ٢٦٣ ٠

الكسوة ووكالةبيت المال وغيرها من الوظائف التى كان يشـــغلها سلفه ولى الدين السفطى(١١١) ٠ وتذكر المصادرأيضا أنه فى جمادى الآخــرة ٨٥٤هـ/يوليـــو ١٤٥٠م خلع على شرف الدين موســى التتــائى(١١٢) باستقراره فى جميع الوظائف التى كان يشغلها أبو الخير النحاس وهى عـــدة وظائف من أهمها نظـــر البيمارستان المنصورى ، ونظر الجوالى ونظر الكسوة ووكالة بيت المال ونظر خانقاه سعيد السعداء ، ووكيـــل السلطان وعدة وظائف أخرى دينية ومباشرات(١١٣) ٠ يتضح مما سبق ان نظار البيمارستان المتعممين جمعوا بين نظارة البيمارستان المنصورى وعدة وظائف أخرى،ولم يكن عملهم قاصراً على نظر البيمارستان وحده٠

ثانيا ـ اتخذ بعض المتعممين ممن تولوا نظر البيمارستان المنصورى نواباً عنهم فى نظر البيمارستان،فقد استناب القاضى محب‌الدين محمد بن الأشقر(١١٤) ٠ ـ حينما استقر فى نظر البيمارستان المنصورى فى ربيع الآخر ٨٤٢هـ/أكتوبر ١٤٣٨ ـ عنه أخاه البـــدر حســين(١١٥) ٠ فى نظر البيمارستان المنصورى ٠ وظل البـــدر حســين يلى النظر نيابة عن محب الدين الأشقر حتى مات الأول فى ٨٤٧هـ/١٤٣م(١١٦) ٠ وعندما

---

(١١١) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، حـ١ ، ص ١٢٤ ، ابن اياس ، بدائع حـ٢ ، ص ٢٨٠ ٠

(١١٢) موسى التتائى أصله من قرية تتا وهى قرية بالمنوفية ، ولد بها ونشـــأ أيضا ، انظر ترجمته فى الضوء اللامع ، حـ١٠ ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ ، الدليل الشافى ، حـ٢ ، ص ٧٥٠ ٠

(١١٣) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، حـ١ ، ص ٢٢٢ ، النجوم ، حـ١٥ ، ٤١٧ ، السخاوى ، التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، ص ٣١٩ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ ٢ ، ص ٢٨٠ ٠

(١١٤) انظر ترجمة محب الدين بن الاشقر فى السخاوى ، الضـــوء اللامع ، حـ٨ ، ص١٤٣ ، الذيل على رفع الأمر ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨ ، السيوطى ، نظم العقيان فى تاريخ الاعيان ، ص ١٥٣ ٠

(١١٥) حسين بن عثمان بن بدر الدين انظر ترجمته فى الســـــخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٧٩ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ٩ ، ص ٢٥١ ٠

(١١٦) السخاوى ، رفع الامر ، ص ٢٧٥ ٠

خلع على شرف الدين عبد الباسط بن البقرى(١١٧) بنظارة البيمارستان المنصورى فى المحرم ٨٧٠هـ/أغسطس ١٤٦٥م أناب عنه الشيخ جلال الدين ابن الأمانة(١١٨) فى نظر البيمارستان المنصورى(١١٩) ٠

غير ان السلطان كان يعترض على ذلك فى بعض الأحيان فعندما خلع على القاضى فتح الدين أبى الفتح المنوفى(١٢٠) واستقر فى نظـر البيمارستان المنصورى ونظر الأوقاف (جمادى الآخرة ٨٧٤هـ/ديسمبر ١٤٦٩م) ، اراد أبو الفتح ـ كما يروى الصيرفى(١٢١) ـ ان يجعل له نائبا بالبيمارستان، كما كان للذى قبله وهو ابن البقرى ، فطلب القاضى تاج الدين الاخميمى(١٢٢) وقرره فى نيابته ، وتوجه القاضى تاج الدين الى البيمارستان ، فبلغ السلطان ذلك فأرسل اليه غلاما من الطشتخاناه ليمنع القاضى تاج الدين من التكلم فى البيمارستان ، فحصـــل له بذلك نوعاً من الكسر(١٢٣) ٠

وأستمر أبو الفتح المنوفى يلى النظـــر على البيمارستان والأوقاف بنفسه حتى (شعبان ٨٧٦هـ/يناير ١٤٧٢م) عندما خلع عليه السلطان وأستقر فى شادية بندر جدة ، وطلب منه السطلنا أن يسافر بنفسه من

---

(١١٧) هو عبد الباسط بن يحيى شرف الدين بن العلم بن البقرى ٠ انظر ترجمته فى الضوء اللامع ، حـ٤ ، ص ٣١ ٠

(١١٨) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عثمان الجـــلال ويعرف بابن الامانة ٠ انظر ترجمتـــه فى السخاوى ، الضـــوء اللامع ، حـ٤ ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ٠

(١١٩) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥٨ ٠

(١٢٠) هو أحد أعيان المماليك السلطانية وعمل فى خدمة السلطان قايتباى وشغل وظيفة ثانى قلم ، انظر السخاوى ، الضوء ، حـ٩ ، ص ١٧٩ ، الصيرفى ، انبـــاء الهصر ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ٠

(١٢١) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥٨ ٠

(١٢٢) هو محمد بن ابراهيم التاج عبد الوهاب الاخميمى الاصـــل ، القاهرى الشافعى ويعرف بالتاج الاخميمى ، انظر ترجمته فى السخاوى ، الضـــوء اللامع ، حـ٦ ، ص ٢٥٨ ٠

(١٢٣) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥٨ ٠

غير أن يرسل نائبا من جهته ، ولذلك باشر نظر البيمارستان المنصورى عنه ابنه يوسف السمين(١٢٤) ٠

ثالثا ـ حدث أحيانا أن تولى عدة أفراد من أسرة واحـــدة منصب ناظر البيمارستان المنصورى ٠ من ذلك ما حدث خـــلال سلطنة الناصر فرج بن برقوق (٨٠٢ ـ ٨١٥هـ/١٣٩٩ ـ ١٤١٢م) ان أكثر من فرد من أسرة محمد بن أحمد بن عبـــد الملك الشمسى الدميرى القاهرى المالكى تولوا ذلك المنصب ٠ ومن هؤلاء القاضى شـمس الدين محمد بن أحمـــد الدميرى(١٢٥) الذى ولى نظر البيمارستان المنصورى نيابة عن الاتابك بيبرس الدوادار(١٢٦) ٠ وعن نظارته يذكر السخاوى « أنه كان عارفاً بالمباشرة ، وحصل من البيمارستان مالا كثيراً جداً ، وفره مما كان غيره يصرفه فى وجوه البر وغيرها ، واتفق ان الناصر أخـــذ منه فى بعض التجاريد جمـــلة مستكثرة »(١٢٧) ٠ كذلك تولى نظـــر البيمارستان المنصورى ابنه وهو محمد زين الدين بن القاضى شمس الدين محمد بن أحمد الدميرى ، وقد سار على قاعدة أبيه حيث تحدث فى البيمارستان المنصورى نيابة عن الأمير الكبير ٠ هذا الى جانب توليه حسـبة القاهرة مراراً(١٢٨) ٠ واستمر ابنه محمـــد بن زين الدين(١٢٩) فى مشارفة

---

(١٢٤) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ٠

(١٢٥) كان القاضى شمس الدين أيضا مفتيا لدار العدل كما ولى الحسبة عدة مرات ٠ انظر ترجمته فى الضوء ، حـ٦ ، ص ٣٢٩ ، الدليل الشافى ، حـ٢ ، ص ٥٩٢، ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ٦ ، ص ٢٥٦ ٠

(١٢٦) ولى بيبرس الدوادار نظر البيمارستان المنصورى من قبل الناصر فرج فى رجب ٨٠٢هـ/مارس ٤٠٠م ، انظر ترجمه فى المنهل ، حـ٣ ، ص ٤٨١ ـ ٤٨٣ . الضوء اللامع ، حـ ٣ ، ص ٢١ ٠

(١٢٧) الضوء اللامع ، حـ٦ ، ص ٣٢٩ ٠

(١٢٨) انظر السخاوى ، الضوء اللامع ، حـ٩ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ، المقـــريزى ، السلوك ، حـ٤ ، ق٢ ، ص ٤٨٩ ، الصـــيرفى ، نزهة النفـــوس ، حـ٣ ، ص ٢١٤ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ٨ ، ص ٢٢١ ؛ ابن اياس ، بدائع ، حـ٢ ، ص ١٣٣ ٠

(١٢٩ انظر ترجمته فى الضوء اللامع ، حـ٩ ، ص ١٩٥ ، وانظر أيضا أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص ١٢٧ ٠

البيمارستان(١٣٠) ٠ وهكذا تعاقب أفـــراد أسرة الدميرى فى نظـــر البيمارستان المنصورى واحداً بعد آخر ٠

رابعا ـ يتضح من خـــلال تراجـم المتعممين الذين تولوا نظـــر البيمارستان المنصورى أن منهم من كان شافعى المذهب ومنهم أيضا من كان حنفياً أو مالكيا وان كانت الغالبيةالعظمى منهم على المذهب الشافعى وذلك عملا بما جاء فى وثيقة المنصور قلاوون من أنه « يكون النظر لحاكم المسلمين الشـافعى المذهـــب بالقاهرة ومصر المحروستين ، فان لم يكن فللحاكم على أى مذهب »(١٣١)٠ ومن النظار الحنفية القاضى فخرالدين عثمان بن ابراهيم بن مصطفى التركمانى(١٣٢) ٠ والقاضى جمال الدين محمود العجمى قاضى قضاة الحنفية(١٣٣) ، والشيخ محمد بن محمد النسـفى أمـير الدين الخلواتى(١٣٤) وكان من أئمة الحنفية ، والقاضى نور الدين عمر بن مفلح(١٣٥)، والقاضى محب الدين بن الأشقر(١٣٦)، كما كان القاضى علاء الدين بن الاطروش حنفى المذهب كذلك(١٣٧)٠

---

(١٣٠) السخاوى ، الضوء اللامع ، حـ ٩ ، ص ١٩٥ ٠

(١٣١) انظر نص الوثيقة فى مـــلاحق ابن حبيب ، تذكرة النبيـــه ، حـ١ ، ص ٣٦٩ ، ٣٩٢ ٠

(١٣٢) عنه انظر ما سبق ، ص ، وانظر أيضا ابن حجر ، الدرر ، حـ٣ ، ص ٤٩ ، السلوك ، حـ٢ ، ق٢ ، ص ١٣٤٠ ٠

(١٣٣) عنه انظر ما ســـبق ، وانظـــر أيضـــا الصيرفى ، نزهة النفوس ، حـ١ ، ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ ٠

(١٣٤) انظر ترجمته فى النجوم ، حـ١١ ، ص ٣١٣ ، الدليل ، حـ٢ ، ص ٦٨٤ ، الصيرفى ، نزهة النفوس ، حـ١ ، ص ١٦٤ ابن حجر ، انبـــاء الغـــمر ، حـ٢ ، ص ٢٧٦ ، المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ص ٤٨٤ ، ٥٧٢ ٠

(١٣٥) انظر ما سبق ٠

(١٣٦) وهو خليفة نور الدين بن مفلح فى نظر البيمارستان المنصورى،وليه منذ ربيع الآخر ٨٤٢هـ/سبتمبر ١٤٣٨م ، وحتى ربيع الآخر من عام ٨٤٩هـ/يوليو ١٤٤٧م٠ انظر السخاوى ، الذيل ، ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ابن حجر ، انباء الغمر ، حـ٩ ، ص ٣١ ، السيوطى ، نظم العقيان ، ص ٥٣ ، ابن اياس ، بدائع ، حـ٢ ، ص ٢٥ ٠

(١٣٧) انظر ما سبق ، انظر أيضـــا المقـــريزى ، الســـلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٣٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٠ ، ص ٣٢٧ ٠

ومن النظار المالكية القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن شاهد الجمالى ٠ وأفراد أسرة الدميرى الثـــلاثة كانوا مالكية أيضا وكذلك القاضى ناصر الدين محمد بن المخلطة(١٣٨) وكان أحـــد نواب الحكم المالكية وأحد أخصاء الملك الاشرف أينال(١٣٩) ٠

مراسيم تعيين ناظر البيمارستان المنصورى :

تبدأ مراسيم تعيين ناظر البيمارستان المنصورى بأن يكتب لصاحبها توقيع(١٤٠) بنظارة البيمارستان المنصورى ثم يخلع عليه السلطان الخلع ويلبســـه التشريف(١٤١) وأخـــيراً ينزل الناظر الى البيمارستان فى موكب حافل ٠

أما عن التوقيع فكان يكتب ـ كما يذكر الخالدى(١٤٢) ـ وكذلك صاحب التثقيف(١٤٣) ـ فى قطع النصف ، وبقلم الثلث ٠ وكانت كتابة التواقيع قد أصبحت مختصـــة بارباب الوظائف الدينية والديوانية مـــن المتعممين بصـــفة خاصـة ٠ وتوقفت التواقيع التى كانت تكتب لارباب السيوف فى فترة من الفترات الا أنه استثنى من هـــذه القاعدة بعض أرباب السيوف ومن بينهم صحابة نظر البيمارستان المنصورى حيث ظل يكتب لهم تواقيع بنظر البيمارستان(١٤٤) ٠

---

(١٣٨) انظر ترجمته ابن المخلطة فى الضوء ، حـ١٠ ، ص ٢٧ ، النجـــوم ، حـ٦ ، ص ١٧٠ ٠

(١٣٩) تولى ابن المخلطة نظر البيمارستان المنصـــورى فى ربيع الآخر ٨٥٧هـ/ ابريل ١٤٥٣م ، انظر ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، حـ١ ، ص ٣٧١ ٠

(١٤٠) التوقيع يقصد به قرار التعيين فى منصب ناظر البيمارستان المنصورى ٠

(١٤١) التشريف وهو الخلعة أو الملابس المهداة من السلطان الى كبار الأمـراء ورجال الدولة فى مناسبات خاصة ، ومن أهمها التعيين فى الوظائف الكبرى ٠ انظر سعيد عاشور ، العصر المماليكى ، ص ٤١١ ٠

(١٤٢) المقصد الرفيع ، مخطوط ، ورقة ١٢٤ ٠

(١٤٣) ابن ناظر الجيش (المحبى) ، كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلى ، القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٤٥ ٠

(١٤٤) المحبى ،تثقيف التعريف ، ص ١٤٥ ، وانظر أيضا القلقشـــندى ، صبح الاعشى ، حـ١١ ، ص ١١٤ ٠

وقد أورد القلقشندى صورتى توقيع احداهما لمن تولى صحابة نظر البيمارستان المنصورى من أرباب السيوف،والأخرى لمن تولاها من أرباب الأقلام أو من المتعممين ٠ أما عن صورة التوقيع الأولى فكانت تكتب على النحو التالى : ـ

« توقيع شريف أن يفوض الى المقر الكريم أو الجناب الكريم أو العالى (قدر رتبته) الأميرى الكبيرى الفلانى ، فلان الناصرى مثلا : اعز الله أنصاره ، أو نصرته أو ضاعف الله تعالى نعمته (بحسب مايليق به) ـ نظر البيمارستان المعمور المنصورى على أجمل العوائد وأكمل القواعد ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شرح فيه »(١٤٥)٠

واما عن نسخة توقيع أرباب الاقلام من المتعممين والتى أوردها القلقشندى كذلك ، فكانت من انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبى(١٤٦) ٠ وتستهل بالحمد لله والثناء عليه ثم بالشهادة والصلاة على رسول الله وعلى أصحابه ، ثم يأتى ذكر ما يليق بالوظيفة والمتولى لها ، اذ نص التوقيع على أنه يكتب بنظارة البيمارستان الى الشخص الذى « تحققنا صلاحه ، وتيقنا نجاحه، وأعتقدنا تنميه أمواله ، وأعتمدنا فى مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله»(١٤٧٠ ثم يذكر اسم الشخص الذى كتب له التوقيع بعد ذكر الاوصاف التى يجب أن تتوافر فيه ، ثم يفوض اليه نظر أوقاف البيمارستان المنصورى(١٤٨) ٠

وبمقابلة توقيع أرباب السيوف مع توقيع أرباب الاقلام يتضح ان الأول جاء مختصراً وقاصراً على ألقاب الأمير الكبير ، اما الثانى فقد

---

(١٤٥) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ١١ ، ص ١١٧ ٠

(١٤٦) انظر نص التوقيع عند القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ١١ ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢ ٠

(١٤٧) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ١١ ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، وانظر أيضا المحبى ، تثقيف التعريف ، ص ١٤٦ ٠

(١٤٨) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ١١ ، ص ٢٦١ ٠

جاء مفصلا ومركزاً على الصفات التى يجب أن يتحلى بها ناظر البيمارستان ،والمهام الملقاة على عاتقه مما يدل على أن عبء نظر البيمارستان المنصورى وقع على عاتق المتعممين بالدرجة الأولى ٠

وبعد أن يكتب لصحابة نظر البيمارستان المنصورى ونوابه التوقيع، كان السلطان يخلع عليهم خلعة نظر البيمارستان وتشريفة اذ كان للناظر تشريف خاص ٠ ففى ١٩ من المحرم ٧٧٩هـ/٢٩ مايو ١٣٧٧م أستقر الأمير قرطاى فى نظر البيمارستان ، ونزل اليه بتشريفه على نحو ما يذكر المقريزى(١٤٩) ٠ وفى ٢١ جمادى الآخرة ٨٠٨هـ/ ١٥ ديسمبر ١٤٠٥م أستقر يشبك الشعبانى فى نظر البيمارستان المنصورى ، ونزل اليه ، وعليه التشريف السلطانى على العادة(١٥٠) ٠ وخلع السلطان الناصر فرج على الأمير الكبير تمرتاش (دمرداش) المحمدى تشريفا بنظر البيمارستان المنصورى فى المحرم ٨١٤هـ/مايو ١٤١١م(١٥١) ٠ وخلع السلطان جقمق على الأمير اينال العلائى فى شعبان ٨٤٩هـ/نوفمبر ١٤٤٥م خلعة نظر البيمارستان المنصورى(١٥٢) ٠ وفى ربيع الآخر ٨٥٢هـ/يونيه ١٤٤٨م خلع على الأمير اينال العلائى ثانية ، وألبس خلعة الاستمرار فى نظر البيمارستان المنصورى وهى : « فوقانى بطرز ذهب »(١٥٣) ٠ وخلع السلطان تمربغا كذلك على الاتابك قايتباى فى جمادى الأولى ٨٧٢هـ/ديسمبر ١٤٦٧م خلعة نظر البيمارستان المنصورى(١٥٤) ٠

ولم تكن خلع صحابة نظر البيمارستان المنصورى قاصرة على

---

(١٤) المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق ١ ، ص ٣٠٤ ٠

(١٥٠) المقريزى ، السلوك ، حـ٤ ، ق١ ، ص ١٠ ٠ وانظر أيضا : الصيرفى ، نزهة النفوس ، حـ١ ، ص ٢١٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ١ ، ق٢ ، ص ٧٤٣ ٠

(١٥١) المقريزى ، السلوك ، حـ٤ ، ق١ ، ص ١٧٥ ، وانظر أيضا ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ ١٣ ، ص ١٢٠ ٠

(١٥٢) ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٥ ، ص ٣٧٠ ٠

(١٥٣) السخاوى ، التبر المسبوك ، ص ٢٠٨ ، ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، حـ١ ، ص ١٢٣ ٠

(١٥٤) ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٦ ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ ٠

الأمراء وأرباب السيوف دون المتعممين فقد شملت الجميع فتذكر المصادر أنه فى ربيع الآخـر ســـنة ٨٤٩هـ/يوليو ١٤٤٥م لبس الشيخ ولى الدين السفطى أو الولوى السفطى خلعة ونزل الى البيمارستان(١٥٥) ٠ كذلك لبس أبو الخير النحاس فى ١١ ربيع الآخـــر ٨٥٢هـ/١٥ يونية ١٤٤٨م خلعة نظر البيمارستان المنصورى عوضاً عن الســـفطى ، وفى جمادى الآخرة ٨٥٤/يوليو ١٤٥٠م لبس شرف الدين موسى التتائى خفاً ومهمازاً عوضاً عن أبى الخير النحاس وشغل نظر البيمارستان المنصورى(١٥٦)٠

وبعد أن يرتدى صحابة نظر البيمارستان الخلع والتشاريف كانوا ينزلون اليه فى موكب كبير ؛ فيذكر ابن اياس فى جمادى الأولى ٧٧٤هـ/ نوفمبر ١٣٧٢م أن السلطان « اخلع على الأتابكى الجاى اليوسفى وقرره ناظر البيمارستان ، فنزل من القلعة فى موكب حفـل »(١٥٧) ٠ كذلك يذكر ابن اياس فى موضع آخر ان الأمير أينال العلائى بعد أن أخلع عليه بنظارة البيمارستان المنصورى « نزل من القلعة فى موكب حافل»(١٥٨) ويذكر الصيرفى أيضاً أنه خلع فى صـــفر ٨٧٣هـ/أغسطس ١٤٦٨م على ازبك ططخ خلعة البيمارستان المنصورى ٠٠٠ وتوجه اليه فى محفـــل عظيم وهوتك جسيم »(١٥٩) ٠ ويلاحظ ان الأمثلة السابقة قاصرة على أرباب السيوف دون أرباب الاقلام من المتعممين وذلك لأن المصادر لا تذكر أية أمثلة خاصة بهؤلاء المتعممين ٠

وكان رنك ناظر البيمارستان المنصورى من أرباب السيوف يضرب على البيمارستان ، فيذكر ابن تغـــرى بردى فى ١٣ ربيع الأول ٨٣٧هـ/ ٢٩ أكتـــوبر ١٤٣٣م ضرب رنك السـلطان برســـباى على البيمارستان المنصورى بالقاهرة ، وكانت العادة جرت من عدة سنين أن كل من يلى

---

(١٥٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ٢ ، ص ٢٥٠ ، السخاوى ، الذيل ، ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨ ، التبر المسبوك ، ص ١٤٤،٢٣٥ ، ابن حجر، انباء الغمر، حـ٩ ،ص٢٣٤٠

(١٥٦) ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٥ ، ص ٤١٧ ٠

(١٥٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ١ ، ق٢ ، ص ١١٢ ٠

(١٥٨) ابن اياس ، بدائع الزهور ، حـ٢ ، ص ٢٥٢ ٠

(١٥٩) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥ ٠

الامرة الكبرى يكون هو الناظر على البيمارستان المنصورى ، فلما نفدت هذه الوظيفة تكلم السلطان على نظرها وضرب اسمه على بابها(١٦٠) . وفى ٢٤ صفر ٨٧٣هـ/٥ ١سبتمبر ١٤٦٨م وبعد أن خلع على الاتابك ازبك ابن ططخ بنظر البيمارستان ، نزل اليه فكشفه ... وضربت رنوكه على نحو ما يذكر الصيرفى(١٦١) .

مهام صحابة نظر البيمارستان المنصورى :

تعددت مهام ناظر البيمارستان المنصورى وتنوعت بين فنية وادارية ومالية ، فالناظر باعتباره المسئول الأول عن أوقاف البيمارستان كان عليه ان يقوم برعاية هذه الأوقاف وبعمارتها واصلاحها والعمل على انمائها وزيادة ريعها وحسن استغلالها طبقا لشرط الواقف . وقد حددت وثائق وقف المنصور قلاون على البيمارستان المنصورى مهام ناظر البيمارستان ورتبتها على النحو التالى :

أولا ـ تأجير أوقاف البيمارستان المنصورى فقد نصت وثيقة وقف المنصور قلاوون على أن يقوم الناظر بنفسه أو نائبه بتأجير أوقاف البيمارستان ، وان تكون مدة الاجارة ثلاث سنوات فما دونها بأجرة المثل فما فموقها « ولا يدخل عقد على عقد »(١٦٢) . وينطبق هذا على العقارات ، وكذلك على الأراضى التى تدخل فى وقف البيمارستان .

كذلك على الناظر أن يتحرى عن الشخص الذى يؤجر له العقار فيتأكد من أنه ـ كما تذكر الوثيقة ـ « ليس متشرداً ولا متعذراً ولا تخشى سطوته ، ولا لمن ينسى الوقف فى يده »(١٦٣) . وهذا يعنى أنه يجب على الناظر أن يتحرى الدقة عند تأجيره لأوقاف البيمارستان .

---

(١٦٠) ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٥ ، ص ٣٦ .

(١٦١) الصيرفى ، انباء الهصر ، ص ١٥ .

(١٦٢) انظر نص وثيقة وقف المنصور قلاوون فى ملاحق تذكرة النبيه ، جـ١ ، ص ٣٦١ ، ٣٩١ .

(١٦٣) انظر الوثيقة ، ص ٣٦١ .

ثانيا : عمارة البيمارستان واصلاح أوقافه : ـ

كان على ناظر البيمارستان أن يقوم بعمارة البيمارستان وأوقافه ، والقيام بأعمال الاصلاح والترميم اللازمة له . فقد جـاء فى وثيقة وقف المنصور قلاوون على البيمارستان المنصـــورى والمؤرخة فى (١٢ صفر ٦٨٥هـ) ما يلى : « يبدأ الناظر بعمـــارة ما تجب عمارته فى الوقـــف والبيمارستان من اصلاح وترميم أو بناء هديم ، على وجه لا ضرر فيـه ولا ضرار ، ولا اجحاف بأحد فى عمل ولا اضرار »(١٦٤) وجاء أيضا فى وثيقة وقف قلاوون المؤرخة (٢١ صفر ٦٨٥هـ) : « وعلى الناظر ان يقوم بعمارة الموقوف ومرمته باصلاحه وتجديد ما تهدم من بنيانه ، وانشاء ابنية على ما يراه الناظر سفلا وعلوا بآلات العمارة ، على ما يراه مما تظهر فيه المصلحة ويعود بالنفع على الوقف وأهله »(١٦٥) .

ومن أمثلة عمليات الاصـــلاح والترميم التى قام بها صحابة نظر البيمارستان المنصورى ، عملية العمارة والاصلاح والترميم التى قام بها الأمير جمال الدين أقوش ، وذلك فى مستهل عام ٧٢٦هـ/ديسمبر ١٣٢٤م؛ فقد أمر باخلاء الدواوين والقاعات من المرضى ، ولم يبق بالبيمارستان الا بعض المرضى ذوى الحالات الخطيرة ، وشرع فى العمارة . واستمرت عمليات الاصلاح والترميم شهوراً حتى انتهت فى يوم الثلاثاء ١١ جمادى الأولى ٧٢٦هـ/يوليو ١٣٢٦م باضافة قاعة جديدة الى قاعات البيمارستان المنصورى . وقد أجرى أقوش هذه العمارة وما أضافه من قاعة جديدة من ماله الخاص دون مال الوقف(١٦٧) .

---

(١٦٤) انظر الوثيقة ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ .

(١٦٥) انظر الوثيقة ، ص ٣٩١ .

(١٦٦) لمزيد من التفاصيل انظر : المقريزى ، المواعظ والاعتبار ، م٢ ، ص ٤٠٧، السلوك ، حـ٢ ، ق١ ، ص ٢٧٣ ، محمد سيف ، منشأت الرعاية الاجتماعية ، ص١٠٤.

(١٦٧) المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق١ ، ص ٢٧٤ ، المواعظ ، م٢ ، ص ٤٠٧ ، وانظر أيضا أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ، محمـــد سيف منشآت ، ص ١٠٤ .

وقام الأمير صرغتمش(١٦٨) أيضا بعمليـــات ترميم واصـــلاح للبيمارستان المنصورى وأوقافه عندما تولى صحابة نظر البيمارستان فى ذى القعدة ٧٥٥هـ/نوفمبر ١٣٥٤م من قبل السلطان الناصر حسن ٠ فقد أهتم صرغتمش بالكشف على ما يحتاج اليـــه البيمارستان وأوقافه من العمارة ، وركب مع القـــاضى ابن خطيب بيت الآبار ـ وكان الأمـــير صرغتمش قد ولاه أمر التحـــدث فى البيمارستان ـ ومعهما المهندسون لكشف ما يحتاج اليه البيمارستان من العمارة ٠ ويذكر المقريزى «أنه كتب تقدير المصروف ثلثمائة ألف درهم ، فرسم بالشروع فى العمارة ، فغمرت الأوقاف حتى ترقع ما فسد منها ونودى بحماية من سكن فيها »(١٦٩)٠

كذلك قام الأمير جارقطلوا بن عبد الله الظاهرى(١٧٠) عنـــدما تولى صحابة نظر البيمارستان المنصورى فى ٥ جمادى الآخرة ٨٣١هـ/ ٢٣ مارس ١٤٢٨م بعملية ترميم واصلاح أخـــرى لأوقاف البيمارستان ، فيذكر الصيرفى(١٧١) انه ابتدأ فى أول رمضان ٨٣٢هـ/٤ يونية ١٤٢٩م بهدم حوانيت الصيارف وسوق الكتب وحوانيت الدواوين ٠٠ فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية وهى جارية فى وقف البيمارستان المنصورى لتجدد عمارتها فى أيام ناظرها المقر الاتابكى جارقطلوا والقاضى نورالدين ابن مفلح(١٧٢) ٠

ثالثا ـ قيام الناظر بتحصيل ريع الأوقاف : ـ

فقد اشترطت وثيقة وقف المنصور قلاوون على ناظـــر البيمارستان

---

(١٦٨) انظر ترجمة صرغتمش فى المنهل ، حـ٦ ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٤ ، الدرر ، حـ٢ ، ص ٣٠٥ ؛ المقريزى ، المواعظ ، م٢ ، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ٠

(١٦٩) المقريزى ، السلوك ، حـ٣ ، ق١ ، ص ٨ ٠

(١٧٠) انظر ترجمة جارقطلوا فى المنهل ، حـ٤ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٥ ، الضـــوء اللامع ، حـ٣ ، ص ٥١ ٠

(١٧١) نزهة النفوس ، حـ٢ ، ص ١٥٩ ٠

(١٧٢) انظر ترجمة القاضى نور الدين بن مفلح عند السخاوى ، الضوء اللامع ، حـ٦ ، ص ٣٩ ، وانظر أيضا ابن تغرى بردى ، النجوم ، حـ١٥ ، ص ٢٢٠ ؛ المقريزى ، السلوك ، حـ٤ ، ق٣ ، ص ١٩٦٥ ٠

المنصورى أن يتحرى الدقة ويتبع كافة الحيل فى تحصيل ريع الأوقاف على أكمل وجه ، فقد نصت على أن : ـ

« يتحرى الناظر فى تحصيل ريع الوقف أحسن الحيل على حسب الامكان ، ويطلب ذلك حيث كان فى كل جهة ومكان ، بحيث لا يفرط ولا يفرط .. ولا يهمل حقا معينا ، ولا يغفـــل عن أمر يكون صلاحه بينـاً »(١٧٣) .

وأظهر بعض النظار نوعاً من التشدد فى تحصيل ايجارات أوقاف البيمارستان.ومن هؤلاء الأمير علم الدين سنجر الجاولى(١٧٤)، الذى ولى صحابة نظر البيمارستان المنصورى فى جمادى الآخرة ٧٣٥هـ/ فبراير ١٣٣٥م ـ فيذكر اليوســـفى(١٧٥) أنه اتفق فى ولاية علم الدين ســنجر للبيمارستان أمور كثيرة من العســـف ، فانه طلب حساب البيمارستان ، فوجد فيه مائة ألف درهم متأخرة من البواقى بقيت على سكان الدكاكين وسكان الرباع من الأوقاف وشىء من القروض على الناس ، فطالب بها، ورسم ان يستخلصها من الناس ، وكان منهم متأخر من عشرين سنة وأقل، وشعر الناس بألم كبير ، وعرفه بعضهم ان جميع أموال هذا البيمارستان صدقة للـــه تعالى من صاحبها ، فلم يلتفت الى ذلك ، واشتد امره على الناس ، والقى ببعضهم فى السجون بسبب هـــذا الدين . وهكذا أظهر الجاولى نوعاً من التشدد فى جباية أموال الأوقاف الخاصة بالبيمارستان المنصورى ، ولعل تشدده هذا ينبع من حـــرصه على ريع البيمارستان ودخـــوله .

وبلغ من تشدد الأمير سنجر الجاولى أيضا أنه لم يخرج مال الصدقة من ريع البيمارستان ؛ فيذكر المقريزى فى حوادث عام ٧٣٧هـ/١٣٣٦م « فيها كثر ضبط الأمير علم الدين سنجر الجاولى لأوقاف البيمارستان ،

---

(١٧٣) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٢ .

(١٧٤) انظر ترجمة سنجر الجاولى فى المنهـــل ، حـ٦ ، ص ٧٤ ـ ٧٥ ، الدرر الكامنة ، حـ٢ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨ ؛ الصفدى ، اعيان العصر ، مخطوط ، ورقة ٤٠٧ ـ ٤٠٩ ، السبكى ، طبقات الشافعية ، حـ٦ ، ص ١٠٦ .

(١٧٥) نزهة الناظر فى تاريخ الملك الناصر ، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ .

وتوقفه فيما يصرف منه للصـــدقات »(١٧٦) مما دفع السلطان الى أن يرسل اليه ، ويطلب منـــه الا يضيق على النـــاس لأن المرستان كله صدقة(١٧٧) ، خاصة بعد أن تشدد كذلك فى الاشربة والأدوية ، فكان اذا طلب أحد اشياف(١٧٨) للعين يعد له واحدة بعد واحدة ، واذا كتب له أربع أواق شراب أو غيره يصرفها أوقيتين ، وضيق على سائر مباشرى البيمارستان وغيرهم من الفقراء والصعاليك ـ كما يذكر اليوسفى(١٧٩) .

رابعا ـ تعيين موظفى البيمارستان : ـ

من مهام الناظر أيضا تعيين جميع موظفى البيمارستان بداية من شيخ الطب أو رئيس الأطباء وحتى القومة ؛ فتذكر وثيقة وقف المنصـور قلاوون : « ويصرف الناظر لمن ينصبه شيخاً ... للاشتغال بعلم الطب على اختلاف أوضاعه فى الأوقات التى يعينها له الناظر »(١٨٠) .

ويقوم الناظر أيضا بتعيين جميع أطباء البيمارستان من طبائعية (أى أطباء الأمراض الباطنية) وكحالحين (أطباء العيون) وجرائحيين (أى من يقومون بالعمليات الجراحية) ،وله الحرية فى تحديد اعدادهم كما يتراءى له(١٨١) .ولم تقتصر مهمة الناظر على مجرد تعيين اطباء البيمارستان،بل كان عليه أن يشرف على سير أعمالهم ، وكيفية تطبيقهم لنظام المناوبة ، ويكون ذلك بأذن منه ، فقد نصت الوثيقة على : « يباشر

---

(١٧٦) المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق٢ ، ص ٤١٣ .

(١٧٦) المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق٢ ، ص ٤١٣ .

(١٧٧) المقريزى ، السلوك ، حـ٢ ، ق٢ ، ص ٤١٣ ، اليوسفى ، نزهة الناظر ، ص ٣٥٥ .

(١٧٨) الاشياف عبارة عن دواء مسحوق يستعمل للعيون كما أنها أيضا الدواء الذى يعمل منه قمعا أو تلبيسة (فتيلة) لمعالجة أمراض المستقيم . انظر محمد محمد أمين ، الاوقاف ، ص١٦٣ ، هامش١ ، محمد سيف منشآت الرعاية الاجتماعية ،ص٥٧.

(١٧٩) اليوسفى ، نزهة الناظر ، ص ٣٥٥ .

(١٨٠) انظر نص الوثيقة ، ص ٣٦٦ .

(١٨١) انظر نص الوثيقة ، ص ٣٦٥ .

الأطباء المرضىالمختلين ـ الرجالوالنساء ـ بهذا البيمارستان مجتمعين أو متناوبين ... بأذن الناظر فى التناوب »(١٨٢) .

ويعينالناظر أيضا خازناً وأمينا ـ وهما أشبه بالصيدلى والممرض فى عصرنا الحديث ـ ، فتنص وثيقة وقف قلاوون على : « ويرتب رجلين مسلمين موصوفين بالديانة والأمانة يكون أحدهما (خازن) لخزن حاصل التفرقة .... ويكون الآخر (أمينا) .... وللناظر أن يزيد عليهما فى العدة اذا لم يكفيا ما اشترط عليهما مباشرته »(١٨٣) .

ويرتب الناظر أيضا القومة من الرجال والنساء لخدمة المرضى ... وهو الذى يحدد عدد هؤلاء القومة والفراشين بحيث لا يزيد فى العدد كما تذكر الوثيقة(١٨٤) .

وكان السلطان المنصور قلاوون ـ بصفته الناظر الشرعى لهذا البيمارستان أول من قام بترتيب الحكماء الطبائعيةوالكحالينوالجرائحين والمجبرين بهذا البيمارستان »(١٨٥) . ويذكر اليوسفى أيضا أن الأمير علم الدين سنجر الجاولى رتب فى المرستان جماعة من الحكماء لم يكونوا مستحقين ، وتدخل السلطان ، ورسم بصرف اثنين من هؤلاء الحكماء الذين استجدهم الأمير علم الدين بالمرستان(١٨٦) .

وقد اهتم ناظر البيمارستان المنصور بانتظام العمل فى البيمارستان وانتظام العاملين فى أداء أعمالهم ومداومتهم عليها ، فكان الأمير جمال الدين أقوش يدخل اليهم على غفلة ، ويتفقدهم ، ويجد بعضهم لم يحضر فى الليل ، وكذلك يصعد الى علو المأذنة ، ويتفقد المؤذنين ، ويعلم من حضر ومن غاب ، فيجد جماعة ، ويدخل أماكن الدرس وغيرها ، فيجد من حضر ويعرف من غاب ، وذات يوم نزل من الخدمة ، وأوصى

---

(١٨٢) انظر نص الوثيقة ، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .
(١٨٣) انظر نص الوثيقة ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .
(١٨٤) انظر نص الوثيقة ، ص ٣٦٧ .
(١٨٥) انظر النويرى ، نهاية الارب ، حـ٣١ ، ص١٠٧؛ ابن الفرات ، م٨ ، ص ٩٠
(١٨٦) نزهة الناظر ، ص ٣٥٥ .

أن يحضر سائر من له وظيفة فى البيمارستان ، ونزل فوجد الجميع قد حضروا ، فسلم لمماليكه العصى بأيديهم ، وراح يدعوهم الواحد بعد الآخر ، وكل من دخل أخذته أيدى مماليكه بالعصى على أكتافه ضرباً مؤلماً الى أن فعل بالجميع هذا . ومنذ ذلك اليوم لم ينقطع أحد موظفى البيمارستان عن وظيفته أبدا كما يروى اليوسفى(١٨٧) .

خامسا ـ الصرف على مصالح البيمارستان من ريع أوقافه : ـ

من مهام الناظر أيضا ما يتعلق بالنواحى المالية ، لأن الناظر بعامة هو « من ينظر فى الأموال وينفذ تصرفاتها ، ويرفع اليه حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضى ما يمضى ، ويرد ما يرد »(١٨٩) . أى أن الناظر أشبه بالمشرف المالى أو بمعنى آخر المشرفالرسمى على الايراد والمصرف، ولديه جميع البيانات الخاصة بالمتحصلات والمصروفات والبواقى والفوائض والمتأخرات(١٩٠) .

وحددت نسخة توقيع ناظر البيمارستان المنصورى من أرباب الاقلام مهام الناظر المالية ومنها : « اقامة وظائفها واعتبار مصارفها ... وتمييز حواصلها بما يستدعى اليها من الاصناف التى يعز وجودها ... وضبط تلك الحواصل التى لا خزائن لها أوثق من أيدى امنائه وثقاته »(١٩١).

وكان الناظر يقوم بالصرف على مصالح البيمارستان من ريع أوقافه ، وقد حددت وثيقة وقف المنصور قلاوون أوجه الصرف هذه على النحو التالى : ـ

١ ـ صرف رواتب العاملين بالبيمارستان من مشد وناظر ومشارف

---

(١٨٧) اليوسفى ، نزهة الناظر ، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(١٨٨) المقريزى ، السلوك ، حـ٣،ق١ ، ص٨ ، محمد سيف ، منشآت ، ص ١٠٥.

(١٨٩) القلقشندى ، صبح الأعشى ، حـ٥ ، ص ٤٦٥ ، ضوء الصبح ، ص٣٤٧ .

(١٩٠) محمد قنديل البقلى ، التعريف بمصطلحات صبح الاعشى ، ص ٣٤١ ، حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، حـ٣ ، ص ١١٧٧ .

(١٩١) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ١١ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

وشاهد وكاتب وخازن(١٩٢) « فيصرف لكل منهم من ريع هـذا الوقف أجرة مثله عن تصرفه فى ذلك وفعله »(١٩٣) ٠ ويصرف الناظر أيضـا رواتب الخازن والأمين (أى الصيدلى والممرض) من ريع الوقف من غير حيف ولا شطط ، كما نصت الوثيقة(١٩٤) ٠ كذلك يقوم الناظر بصرف رواتب الأطباء بمختلف تخصصـــاتهم فتنص الوثيقة على : « ويصرف الناظر ٠٠٠ لأطباء المسلمين الطبائعين والكحالين والجرائحيين بحسب ما يقتضيه الزمان ٠٠٠ وهو مخير فى تقرير الجامكيات ما لم يكن فى ذلك حيف ولا شطط »(١٩٥) ٠ ونصت الوثيقة كذلك على « ان يصرف الناظر لمن ينصب شيخاً للاشـــتغال بـعـــلم الطب ٠٠٠ ما يرى صرفه اليه »(١٩٦) ٠ ويقوم الناظر أيضا بصرف رواتب القومة والفراشين من الرجال والنساء بهذا البيمارستان نظير قيامهم بخدمة المرضى،فقد نصت الوثيقة على أن « يصرف الناظر للقومة والفراشين ٠٠ ما يرى صرفه الى كل منهم بحسب عمله ٠٠٠ على ما يراه من التقدير بحيث لا يزيد فى المقادير عن الحاجة اليه فى ذلك »(١٩٧) ٠

٢ ـ المشتريات : وتتضمن ـ كما جاء فى الوثيقة ـ شراء احتياجات البيمارستان من سرر حديد أو خشب ولحف محشوة قطناً وطراريح(١٩٨)

---

(١٩٢) المشارف عمله طلب التفاصيل الكاملة عن أية جهة من الجهات الضريبية التى تقع فى دائرة عمله ويدخل فى عهدته جميع المتحصلات المالية بعـــد ختمها ٠ انظر محمد قنديل . التعريف ، ص ٣١٢ ٠ وعن الشاهد انظـــر القلقشندى ،صبح الاعشى ، حـ ٥ ، ص ٤٦٦ ، محمد قنديل ، التعريف ، ص ١٩١ ٠ وعن الخازن ، انظر القلقشندى ، حـ٤ ، ص ٠٢١

(١٩٣) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٢ ٠

(١٩٤) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ٠

(١٩٥) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٥ ٠

(١٩٦) انظر الوثيقة ، ص ٣٣٦ ٠

(١٩٧) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، وانظر أيضا النويرى ، نهاية الارب، حـ٣١ ، ص ١٠٧ ، ابن الفرات .م ٧ . ص ٩ ٠

(١٩٨) الطراريح هى كل ما يطرح ويفرش وهى المراتب والحشايا ، وهى المرتبة أو الكرسى الذى توضع عليه وسادة طرية ٠ انظر محمد سيف ، منشآت ، ص ٥٣ ، حاشية ٢ ٠

محشوة بالقطن أيضا ، وملاحف قطن ، ومخاد طرح أو أدم لطيفة حسب ما يتراءى للناظر ، وهو مخير بين أن يشترى هذه الأشياء أو المفروشات جهازة أو يشتريها قماش، ويصرف أجرة خياطتها وثمن حشوها، وبحيث يوفر لكل مريض الفرش الذى يتلاءم مع مرضه(١٩٩) ٠

وتشمل المشتريات أيضا شراء الأدوات التى يستعملها المرضى ومنها فخار برسم أغذيتهم ، وأقداح زجاج ، وخزف برسم اشربتهم ، وكيزان وأباريق فخار ، وقصارى فخار وسرج وقناديل وزيت للوقـــود ٠ كذلك يصرف الناظر ثمن مكبات خوص لأجـــل تغطية أغذيتهم عند صرفها ، وثمن مراوح خوص لأجل استعمالها أيام الحر وفى فصل الصيف ليبعـد بها الذباب(٢٠٠) ٠

هذا الى جانب شراء المـــواد التى تســـتخدم فى صناعة الأدوية وتحضيرها ، فقد نصـت الوثيقة على أن يصرف الناظر ثمن سـكر لصنع الاشربة المختلفة وعمل المعاجين ، وثمن ما يحتاج اليه من فواكه وخمائر، وثمن ما يحتاج اليه من الأدوية والعقاقير والمعاجين والمراهم والاكحال والشـيافات والـذرورات(٢٠١) والســـفوفات(٢٠٢) والترياقات(٢٠٣) والاقراص وغير ذلك(٢٠٤) ٠

٣ ـ الصرف على جهات البر ومنها تجهيز ودفن من يمت من المرضى فى البيمارستان ومن يمت بين أهله خاصة منالفقراء،فتنص الوثيقة على:

---

(١٩٩) انظر الوثيقة ، ص٣٦٣ ، وانظر أيضا ، المقريزى ، المواعظ ، م٢،ص٤٠٦٠

(٢٠٠) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٤ ، وانظر أيضا محمد سيف ، منشآت ، ص ٥٣٠

(٢٠١) الزرورات هى الادوية القاطعة للدم فى الجراحات وانتفاخ الشرايين ، وتنفع فى علل الانف والبواسير والرعاف والاورام ٠ انظر محمد سيف ، منشآت ، حاشية ٢ ، ص ٥٧ ٠

(٢٠٢) السفوفات هى الادوية المسكة أو المسهلة وهى على شكل مسحوق يأخذ بواسطة الفم ٠ انظر محمد سيف ، منشآت ، ص ٥٧ ، حاشية ٣ ٠

(٢٠٣) الترياقات جمع ترياق وهو دواء مركب لعلاج السموم ، انظر محمد محمد أمين ، الاوقاف ، ص ١٦٤ ، حاشية أ ٠

(٢٠٤) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٣ ٠

« ويصرف الناظر ما تدعو الحاجة اليـــه من تكفين من يموت بهـــذا البيمارستان من المرضى والمختلين الرجال والنساء، فيصرف اليه ما يحتاج اليه برسم غسله وثمن كفنه وحنوطه وأجرة غاسله وحافر قبره ومواراته فى قبره على السنة النبوية والحالة المرضية »(٢٠٥) ٠ ونصت الوثيقة كذلك على : « وان مات بين أهله صرف اليه الناظر فى يوم تجهيـــزه وتغسيله وتكفينه وحمله الى مدفنه ومواراته فى قبـــره ما يليق به بين أهله »(٢٠٦ ٠

كذلك حرص الناظر على صرف اعانات للخارجين من البيمارستان بعد شفائهم فقد نصت الوثيقة على : « ومن حصل له الشفاء والعافية ممن هو مقيم بالبيمارستان صرف اليه الناظر عن ريع هذا الوقف كسوة ٠٠٠ وذلك وفق ما يراه ، ويؤدى اليـــه اجتهاده ويحسب ما تدعـــو اليه الحاجة»(٢٠٧) ٠

وقد أظهر بعض نظار البيمارستان كفاءة كبيرة فى ادارة حسابات البيمارستان ومن هؤلاء النويرى ، الذى باشر نظره فى شوال ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م) وحتى آخر رمضان من عام ٧٠٧هـ/مارس ١٣٠٧م ويذكر فى هذا الصدد : « باشرت نظر البيمارستان المنصورى وما معه من الأوقاف المنصورية ٠٠٠ ورفع الى حساب المياومة »(٢٠٨) ٠

وبفضل مباشرة النويرى انتظمت الى حد كبير حسابات البيمارستان المنصورى وزادت ايراداته وريع أوقافه ، حتى عهد خليفته شهاب الدين ابن عبادة(٢٠٩) اذ حدث فى عام ٧١١هـ/١٣١١م ان اشترى السلطان

---

(٢٠٥) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٧ ٠

(٤٠٦) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٧ ٠

(٢٠٧) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ٠

(٢٠٨) انظر النويرى ، نهاية الارب ، حـ٣١ ، ص ١٠٨ ، وانظر أيضا أمينـة محمد جمال الدين ، النويرى وكتابه نهاية الارب ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٥٥ ٠

(٢٠٩) انظر ترجمة ابن عبادة فى الدرر ، حـ١ ، ص ٢٢٣ ، وانظر أيضا السلوك حـ٢ ، ق١ ، ص ٥٥ ٠

الناصر محمد بن قلاوون جواهر من تجـــار الفرنجة بمصر وغيرها من الحاجيات بمبلغ ستة عشر ألف دينـــار ، واحالهم بها على كريم الدين اكرم(٢١٠) ٠ ناظر الخاص ، غير أنه لم يكن لديه شيء من هذا المبلغ ، فاستشار الأمير علاء الدين بن هلال الدولة(٢١١) والصـلاح الشرابيشى فحسنا له ان يستعين بايرادات البيمارستان المنصورى ٠ مما يدل على مدى الثقة التى تمتعت بها حسابات هذا البيمارستان(٢١٢) ٠

ومما يدل أيضا على انتظام حسابات البيمارستان وزيادة ريع أوقافه بفضل كفاءة نظاره ومعرفتهم بالحساب ما يذكره المقريزى من ان الأمير جمال الدين أقوش عندما استقر ناظراً على البيمارستان فى جمادى الآخرة ٧٢٣هـ/يونيه١٣٢٣م « وجد حاصله أربعمائة ألف درهم ، سوى السكر وغيره قيمته مائة ألف درهم »(٢١٣) ٠

وتزايد أيضا ريع أوقاف البيمارستان فى عهـــد الأمير صرغتمش بفضل كفاءته وكفاءة نائبه ضياء الدين يوسف بن بيت الآبار لتصـــل الى « أربعين ألف درهم فى الشهر»(٢١٤) ٠ وظلت دخول أوقاف البيمارستان فى زيادة حتى أن الرحالة ابن بطوطة يذكر : « ان مجبـــاه ألف دينار كل يوم »(٢١٥) ٠

وقد حددت وثيقة وقف المنصور قلاوون ما يجب ان يفعله الناظر فى

---

(٢١٠) عبد كريم الدين اكرم انظر ، الدرر ، جـ١ ، ص٤٢٩ ــ ٤٣١ ، السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، ص ٩٥ ٠

(٢١١) هو على بن جلال الدولة الشيزرى ولد بشيزر ثم قدم مصر وباشر شد العمارة وخدم عند أحمد بن عبادة فى نظر الخاص والاوقاف ، توفى بشيزر ســـنة ٧٣٩هـ ٠ انظر ترجمته فى الدرر ، جـ٣ ، ص ٢١٠ ــ ٢١١ ٠

(٢١٢) ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ١ ، ص ٣٤٠ ، المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، ص ١٣ ، وانظر أيضا أمينة جمال الدين ، النويرى ، ص ٥٧ ٠

(٢١٣) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، ص ٢٤٧ ٠

(٢١٤) المقريزى ، السلوك ، جـ٣ ، ق١ ، ص ٨ ٠

(٢١٥) ابن بطوطه ، الرحلة ، ص ٣٣ ٠

حالة اذا ما نقص ريع أوقاف البيمارستان عن استيعاب المصـــاريف التى سبق ذكرها ، اذ نصت على : « أن يقـــدم الناظر صرف الأهم فالمهم من ذلك ... ويقدم الاحوج فالاحوج بحسب ما تقضيه المصلحة ... وعلى الناظر فى هذا الوقت ان .. لا يقدم صاحب جاه على ضعيف ولا قوى على من هو أضعف منه ، ولا متأهل على غريب بل يقدم من فى الصرف اليـه »(٢١٦) .

معاونو ناظر البيمارستان المنصورى :

كان يعاون الناظر فى أداء مهامه مجموعة من الموظفين، فقد وردفى وثيقة المنصـــور قلاوون المؤرخة فى ١٢ صـــفر ٦٨٥هـ من بين موظفى البيمارستان « الخزان الامنـــاء والمباشرين وغيرهم »(٢١٧) . ونصت الوثيقـــة فى موضـع آخـــر على أنه « ليس للناظـــر .. أن يـــنزل بهذا البيمارستان ... من المباشرين ولا من أرباب الوظائف يهـــودياً ولا نصرانياً »(٢١٨) . وكان من بين هؤلاء المباشرين «مباشرو العمارة» ويقوم هؤلاء بشراء المواد اللازمة لعمل الترميمات والاصلاحات اللازمة ، مع مراقبة مختلف الابنية الموقوفة واستخدام الصناع والعمال . وقد حدد النويرى اختصاصاتهم ـ بوصفه ممن تولوا نظر البيمارستان المنصورى ـ فذكر : « اما العمارة فلها مباشرون ينفردون بها من ابتياع الأصناف ، واستعمال الصناع ، ومرمة الأوقاف وغير ذلك مما يدخل فى وظيفتهم ... ويكتبون فى كل شـــهر استحقاق(٢١٩) بثمن الأصـــناف وأرباب الأجر »(٢٢٠) ثم يرسلون هذا السجل أو الاستحقاق الى الناظر ليتولى عملية الصرف وسداد الأموال الى مستحقيها(٢٢١) .

---

(٢١٦) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٨ .

(٢١٧) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٠ .

(٢١٨) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٧ .

(٢١٩) يقصد بالاستحقاق اجراء سجلأو جريدة بما هو مستحق لارباب الجامكيات أى الرواتب . انظر النويرى ، نهاية الارب ، حـ٣١ ، تحقيق السيد الباز العرينى ، ص ١٠٨ ، حاشية ٤ .

(٢٢٠) النويرى ، نهاية الارب ، حـ٣١ ، ص ١٠٩ .

(٢٢١) حياة الحجى ، البيمارستان المنصورى ، ص ٢١ .

ويعاون الناظر فى تحصيل ايجارات أوقاف البيمارستان عدد آخر من المباشرين ويعرف هؤلاء « بمباشرى الصـــندوق والرباع » ويحـــدد النويرى أيضا اختصاصاتهم بقوله : « واليهم يرجع تحرير جهات الأوقاف فى الخلق والســـكون والمعطل ، واستخراج الأمـــوال ، ومحاســـبات المستأجرين ، وصرف الأموال بمقتضى حوالة(٢٢٣) ٠

ويساعد الناظر أيضا جماعة ثالثة من المباشرين يعـــرفون باســـم « مباشرى الادارة » ومهمتهم ابتياع ما يحتـــاج اليـــه البيمارستان من الأصناف ، وضبط ما يدخل الى المكان وما يخرج منه خاصة من غير أن يكون لهم تعلق فى استخراج(٢٢٤) ، ويكتبون فى كل شهر عمل استحقاق لسائر أرباب الجامكيات والجرايات من سائر أرباب الوظائف والمباشرين، يكتبه العامل ، ويكتب عليه الشهور ، ويأمر الناظر بصرفه ، ويخلد فى ديوان الصندوق ويعرفه على حكمه(٢٢٥) ٠

وقد خصصت لهؤلاء المباشرين أجور نظير قيامهم بهذا العمل ،فقد نصت وثيقة وقف المنصور قلاوون على : « ثم ما فضل بعد ذلك صرف منه الناظـــر ما يرى صرفه لمن يتولى ايجـــار ذلك ، واستخراج أجرته وعمارته »(٢٢٦) ٠

وكان لصحابة نظر البيمارستان المنصـــورى ديوان يطلق عليـــه

---

(٢٢٢) الحوالة وثيقة تجيز لحاملها ان ينال ما هو مستحق له من المرتبات من المتحصل من الجهات المقررة له بها ٠ انظـــر النويرى ، نهـــاية الارب ، حـ٣١ ، ص ١٠٦ ، حاشية ٥ ٠

(٢٢٣) النويرى ، نهاية الارب ، حـ٣١ ، ص ١٠٩ ٠

(٢٢٤) صندوق المستخرج أو ديوان الصندوق يختص بالنظر فى جهات الوقف ، وما طرأ عليها من زيادة أو ركود أو تعطيل ، كما يختص باســـتخراج الامـــوال ومحاسبات المستأجرين وصرف الاموال ٠ انظر النويرى ، نهـــاية الارب ، حـ٣١ ، ص ١٠٩ ، حاشية ٣ ٠

(٢٢٥) النويرى ، نهاية الارب ، حـ٣١ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، وانظر أيضا المقريزى، المواعظ ، م٢ ، ص ٤٠٧ ٠

(٢٢٦) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٢ ٠

القلقشندى اسم « ديوان صحابة نظر البيمارستان »(٢٢٧) وليس هـذا بالغريب لأن من تولوا صحابة نظر البيمارستان المنصورى أو نيابته كانوا من كبار الأمراء بالديار المصرية • وجرت العادة أن يكون لكل أمـــير ديوان • وقد تألف ديوان صحابة نظر البيمارستان على نحو ما جاء فى وثيقة المنصور قلاوون من « مشـــد وناظر ومشـــار وشـاهد وكاتب وخازن »(٢٢٨) • ويلاحظ هنا أن المشد تقدم على الناظر مما يظهـــر أهمية وظيفته للبيمارستان•والمشد أو الشاد لفظ استخدم فى دولة المماليك للدلالة على موظف كان له حق التقوية وما يتبع ذلك من سلطان المراقبة والاشراف والتفتيش والمعاونة والتوجيه والتعمير والاستثمار وغير ذلك • وتدل هذه اللفظة على وظائف مختلفة لكل منها اختصاصاتها بحسب نوع الشد الذى يتولاه الموظف ، وكثيراً ما أضيف كلمة شاد الى اسم الادارة أو الجهة التى يتولى الموظف شدها ، مثال ذلك شاد الاحباس ، وشاد الأوقاف ، وشاد العمارة ، وشاد البيمارستان وغيرها(٢٢٩) •

ونظراً لأن وظيفة المشد جاءت فى الوثيقة غير متبوعة بما يوضح نوعية هذا الشـد ، فضـــلا عن كـــونها من وظائف ديوان صحابة نظر البيمارستان ، فمن المحتمل أن يقصد بالمشد هنا مشد عمائر البيمارستان وما يتبعه من أوقاف • وكان واجب هذا المشـــد أن يحرص على مصالح الوقف والمستحقين له ، بأن يجدد ويصلح مبانى الوقف ، وأن يشرف على أرباب الصناعات المختلفة فى العمائر ، ويحثهم على العمـــل مع الرفق بهم ، والا يستعمل أحداً فوق طاقته ، وعليه أيضا أن يمكنه من الأكل ، وان يطلق سراحه أوقات الصلوات؛ومن عمله أيضا أنه يعاون فى جباية ريع الوقف(٢٣٠) •

ولم تذكر المصادر اسماء من تولوا وظيفة الشد بديوان صحابة نظر

---

(٢٢٧) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ٤ ، ص ٣٤ •

(٢٢٨) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٢ •

(٢٢٩) حسن الباشا ، الفنون والوظائف ، حـ٢ ، ص٦٠٥ ـ ٦٠٧ •

(٢٣٠) السبكى ، معيد النعم ، ص ١٢٩ ، وانظر أيضا حسن الباشـــا ، الفنون الاسلامية والوظائف ، حـ ٢ ، ص ٦١٧ •

البيمارستان المنصورى، اللهم الا الأمير علم الدين سنجر الشجاعى الذى عهد اليه السلطان المنصور قلاوون بشـــد عمـــارة البيمارستان عنـــد بنائه(٢٣١) ٠

أما الناظر فهو الذى ينظر فى الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفع اليه حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضى ما يمضى ويرد ما يرد(٢٣٢) أى أنه المشرف الرســـمى على جميع ايرادات الديوان ومصروفاته ؛ ولا بد من توقيعه على كل ما يخرج من الديوان من أوراق(٢٣٣) ٠

وعن المشارف يذكر ابن مماتى(٢٣٤) ان أمره جار على أمر الناظر وهو يزيد على الناظر بأن يكون الحاصل من المستخرج فى مودعه وتحت حوطته بعد أن يكون مختوماً عليه ، ومهمته أيضـــا هو والناظر ضبط عامل الديوان والشد منه ٠

ومن موظفى ديوان صحابة نظر البيمارستان أيضا الشاهد والكاتب والخازن٠أما الشاهد فهوالذى يشهد بمتعلقاتالديوان نفياً وأثباتا(٢٣٥)٠ وقيل أيضاً أنه هو الذى يضبط كل شىء مما هو شاهد فيه،وعليه أن يكتب الحساب الموافق لتعليقه وعليه أيضا ضبط الحواصل لا غير(٢٣٦) ٠

ونظراً لأن تشكيل ديوان البيمارستان يخلو من العامل فان الكاتب هنا يجرى مجرى العامل فى كل ما يتعلق به أى أنه يتولى عمل الحسابات

---

(٢٣١) انظر ما سبق ص ٢ ، وانظر أيضا بيبرس المنصورى ، مختار الاخبار ، تحقيق عبد الحميد صالح مروان ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٨٥ ٠

(٢٣٢) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ٥ ، ص ٤٦٥ ٠

(٢٣٣) انظر حسنين ربيع ، النظم المالية فى مصر ، ص ٨٤ ، محمد قنديل البقلى، التعريف ، ص ٣٤١ ٠

(٢٣٤) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز ســـوريال عطية ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٣٠٢ ؛ ٣٠٣ ٠

(٢٣٥) القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ٥ ، ص ٤٦٦ ؛ وانظر أيضا محمد قنديل . التعريف ، ص ١٩١ ٠

(٢٣٦) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣٠٤ ، وحاشية ٨ ٠

ورفعها والكتابة على ما يرفعـــه غـــيره من معاملته منهـــا بالصـــحة والموافقة(٢٣٧) ٠

آما الخازن فهو الذى يتولى خزن الغلات واخراجها ، ويلزمه عمل الأعمال بها ، ويطالب بما قد يعجز منها(٢٣٨) ٠ وهنا تجـدر الاشارة الى أنه كان بالبيمارستان المنصورىأكثرمنخازن،فقد نصت وثيقة المنصور قلاوون على ذلك اذ جاء فيها « والخزان الامناء ٠٠ »(٢٣٩) ٠ ولكن مما يؤسف له ان المصادر لم تذكر اسماء من تولوا وظائف ديوان صحابة نظر البيمارستان المنصورى ٠

★ ★ ★

يتضح من العرض السابق لمهام ناظر البيمارستان المنصـــورى انها كانت كثيرة ومتعددة ، مما تطلب أن يساعده فى تأديتها مجموعة من الموظفين سواء داخل ديوان البيمارستان أم خارجه ٠ ونظرا لتعدد مهام صحابة نظر البيمارستان المنصورى فكان ولابد أن يتولى هـــذه الوظيفة شخص مؤهل فكريا واداريا وماليـــا وعلميا بل وفنيا أيضا حتى يصبح بامكانه القيام بواجباته ومسئولياته بجدارة وليحقق الأهداف المرجو من وراء نشأة البيمارستان ٠ وقد أظهر العديدمن نظار البيمارستان المنصورى فيما بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، كفاءة ومقدرة،وكانوا أهلا لتولى هذا، المنصب،وأنكانتهناك قلة قد تسلقت هذا المنصب وهى تفتقر الى المقدرة والكفاءة والاستحقاق والأهلية والجدارة،وذلكعن طريقالمهاداة والبذل والرشوة٠وازدادات هذه الظاهرة فشوا فى الشطر الأخير من دولة سلاطين المماليك عندما اختلت نظمها وساءت أحوالها وتفشت فيها الأمراض الاجتماعية التى أدت الى ســـقوطها ٠

---

(٢٣٨) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣٠٢ ٠

(٢٣٨) ابن مماتى ، قوانين الدواوين ، ص ٣٠٦ وعـــن الخـــازن انظر أيضـــا القلقشندى ، صبح الاعشى ، حـ٥ ، ص٤٦٢ـ٤٦٣ ، محمد قنديل ، مصطلحات ،ص١١٣٠

(٢٣٩) انظر الوثيقة ، ص ٣٦٠ ٠

قائمة المصادر والمراجع

أولا : الوثائق :

ـــ وثائق وقف المنصور قلاوون على البيمارستان المنصورى ، دراسة ونشر وتحقيق محمد محمد أمين : ملاحق ابن حبيب ، تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ٠
الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٦م ٠

ـــ وثيقة وقف الطيب أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن موسى رئيس المجبرين والجرائحيين بالبيمارستان المنصورى على مصالح البيمارستان وغيره ٠
محفظة ٢٤/حجة ١٥٤ مؤرخة ٢٢ ذو الحجة/٨٧١هـ وثائق محكمة الأحوال الشخصية (الولاية على النفس) ٠

ـــ وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى
دراسة ونشر وتحقيق عبد اللطيف ابراهيم ، مجلة كلية الآداب / جامعة القاهرة ، م ١٨ ، حـ٢ ديسمبر ١٩٥٦م ٠

ثانيا : المخطـــوطات :

ـــ الخالدى (محمد بن عطف الله ت ٩هـ/١٥م)
المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشا ـ مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٤٥ ٠

ـــ صلاح الدين الصفدى (خليل بن ايبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
اعيان العصر واعوان النصر
ثلاثة أجزاء ـ مخطوط مصور عن مجموعة عاطف أفندى ، المكتبة السليمانية استانبول ٠
معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية ، المانيا ١٩٩٠م ٠

ثالثا : المصـادر العربية :

ـــ ابن اياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)
بدائع الزهور فى وقائع الدهور
٥ أجزاء ، فيسبان (١٩٧٥ ـ ١٩٨٣م) ٠

ـــ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبوالمحاسن يوسف ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)
ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
الأجزاء من ٧ ـ ١٢ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
حـ ١٣ تحقيق فهيم شلتوت ، القاهرة ١٩٧٠م
حـ ١٤ تحقيق جمال محمد محرز وفهيم شلتوت القاهرة ١٩٧١م٠
حـ ١٥ تحقيق ابراهيم طرخان ، القاهرة ١٩٧١م
حـ ١٦ تحقيق جمال الدين الشيال وفهيم شـــلتوت ، القـاهرة ١٩٧٢م
=حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور
حـ ١ تحقيق فهيم شلتوت ، القاهرة ١٩٩٠م ٠
ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٨٤ ـ ١٩٩٠م
والأجزاء ٣ ، ٥ تحقيق نبيـــل عبد العزيز ، القاهرة ١٩٨٦ ـ ١٩٨٨م ٠

ـــ ابن حجر العسـقلانى (شـــهاب الدين أبى الفضـــل أحمد بن على ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)
ـ انباء الغمر بابناء العمر ، تسعة أجزاء فى خمسـة مجلدات ، بيروت ١٩٨٦م ٠
ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة
تحقيق محمد سيد جاد الحق ، خمسة أجزاء ، القاهرة ١٩٦٦م٠

ـــ ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
ـ تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه

الجزء الأول ، حوادث وتراجم (٦٧٨ - ٧٠٨هـ/١٢٧٩-١٣٠٨م)
تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٧٦م ٠

— ابن شاهين الظاهرى (غرس الدين خليل بن شاهين)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
تحقيق بولس راويس ، باريس ١٨٩٤م ٠

— ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)
تاريخ ابن الفرات
الجزء السابع تحقيق قسطنطين رزيق ، بيروت ١٩٤٢م
الجزء الثامن تحقيق قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين ، بيروت ١٩٣٩م ٠
الجزء التاسع تحقيق قسطنطين رزيق ، بيروت ١٩٣٦م ٠

— ابن مماتى : كتاب قوانين الدواوين : تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٩١م ٠

— السبكى (تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)
معيد النعيم ومبيد النقم
تحقيق محمد على النجار ، أبو زيد شلبى ، محمد أبو العيون ، القاهرة ١٩٤٨م ٠

— السخاوى (محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر بن عمان ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)
- التبر المسبوك فى ذيل السلوك ٠
تصحيح أحمد زكى ، بولاق - مصر ١٨٩٦م ٠
- الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة
تحقيق جودة هلال د٠ محمد محمود صبح،مصر،بدون تاريخ ٠
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٠
١٢ جزء ، القاهرة ١٣٥٤ - ١٣٥٥ هـ ٠

ـــ السيوطى (جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
نظم العقيان فى أعيان الأعيان
(تراجم مشاهير القرن التاسع الهجرى)
حرره فيليب حتى ، المطبعة الســورية الامريكية فى نيويورك ، ١٩٢٧م ٠

ـــ الشجاعى (شمس الدين الشــجاعى)
ـ تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده
حققه وعربه الى الالمانية بريارة شـيفر
القسم الأول : النص العربى فيسبادن ، ١٠٧٨م ٠

ـــ الصيرفى (الجوهرى على بن داود ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)
ـ نزهة النفوس والابدان فى تواريخ أهل الزمان
أربعة أجزاء ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤م، ١٩٩٤م ٠
ـ انباء الهصر بأبناء العصر
تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٠م ٠

ـــ القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
ـ صبح الأعشى فى صناعة الانشا
١٤ جزء ، القاهرة ١٩١٢ ـ ١٩٢٢م
ـ ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر
طبع وتصحيح محمود سلامة ، مصر ١٩٠٦م ٠

ـــ محب الدين (تقى الدين عبد الرحمن الشهير بابن ناظر الجيش
كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف
تحقيق رودلف فسلى
منشورات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٨٧م٠

— المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)
السلوك لمعرفة دول الملوك
الأجزاء من ١ ـ ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ٠
الأجزاء ٣ ، ٤ تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٠م ، ١٩٧٢م ٠
ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
مجلدان ، بيروت بدون تاريخ عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ ٠

— النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)
ـ نهاية الارب فى فنون الأدب
حـ ١٣ تحقيق السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٩٢م ٠

— اليوسفى (موسى محمد بن يحيى ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م)
نزهة الناظر فى تاريخ الملك الناصر
تحقيق ودراسة محمد حطيط ، بيروت ١٩٨٦م ٠

رابعا : المراجع العربية :

— أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ، القاهرة ١٩٣٩م٠

— حسن الباشا ، الفنون الاســـلامية والوظائف على الآثار العربية ، حـ٢ ، حـ٣ ، القاهرة ١٩٦٦م ٠

— حياة ناصر الحجى ، « البيمارستان المنصورى منذ تأسيسه وحتى نهاية القرن ٨هـ/١٤م » بحث منشور فى المجـــلة العربية للعلوم الانسانية ،م٨ ، العدد ٢٩ ، الكويت ، شتاء ١٩٨٨م ٠

— ســعيد عبد الفتاح عاشور :
ـ العصر المماليكى فى مصر والشام ـ القاهرة ، ١٩٩٤ ٠
ـ حضارة الاسلام ـ القاهرة ، ١٩٨٨ ٠

— محمـــد حمزة اسماعيل الحـــداد ، السلطان المنصـــور قـلاوون (تاريخ ـ أحوال مصر فى عهـده ـ منشـآته المعمارية) القاهرة ، ١٩٩٣م ٠

ـــ محمد سيف النصر أبو الفتـــوح ، « منشـــآت الرعاية الاجتماعية في القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك » ٠
رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٠م ٠

ـــ محمد قنديل البقلى ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ١٩٨٤م ٠

ـــ محمد محمد أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
دراسة تاريخية وثائقية ، القاهرة ١٩٨٠م ٠

ـــ محمد محمد أمين وليلى على ابراهيم ، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) ، مصر ، ١٩٩٠م ٠

خامسا : المراجع الأجنبية :

Van Berchem, · Corpus Inscriptorum Arabicarum, Premiére Partie. (Egypte — Paris, 1903)